ⵜⴰⴳⵍⴷⵉⵜ ⵏ ⵍⵎⵖⵔⵉⴱ
ⴰⵙⵉⵏⴰⴳ ⴰⴳⵍⴷⴰⵏ
ⵏ ⵜⵓⵙⵙⵏⴰ ⵜⴰⵎⴰⵣⵉⵖⵜ
ⴰⵎⵎⴰⵙ ⵏ ⵜⵖⵓⵇⵉⵡ ⵏ ⵓⵎⵥⵔⵓⵢ ⴷ ⵜⵡⵏⵏⴰⴹⵜ

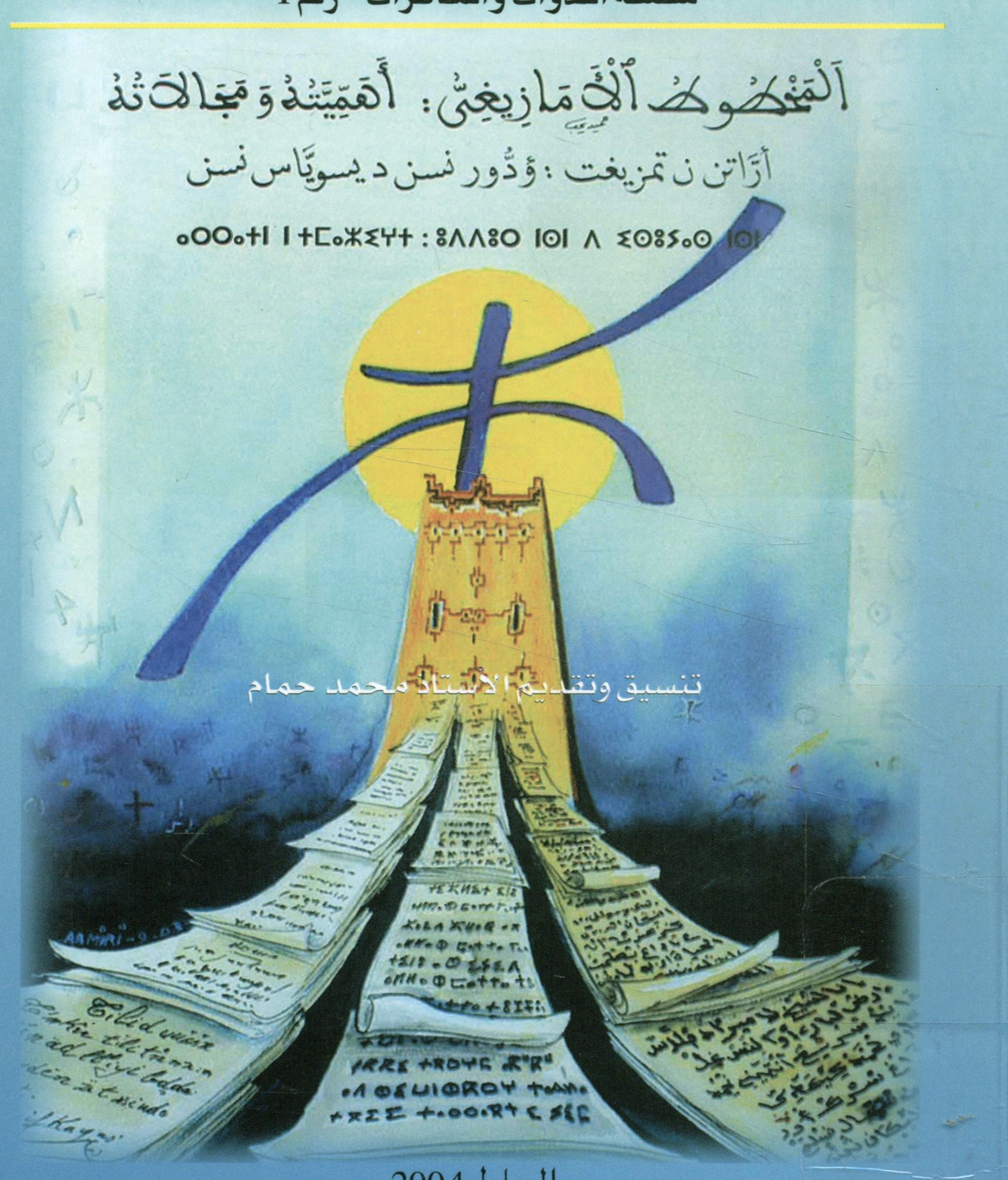
المملكة المغربية
المعهد الملكي
للثقافة الأمازيغية
مركز الدراسات التاريخية والبيئية

سلسلة الندوات والمناظرات - رقم 1 -

اَلْمَخْطُوطُ اَلْأَمَازِيغِيُّ: أَهَمِّيَّتُهُ وَمَجَالَاتُهُ

أرَّاتن ن تمزيغت : وُدُّور نسن د يسويَّاس نسن

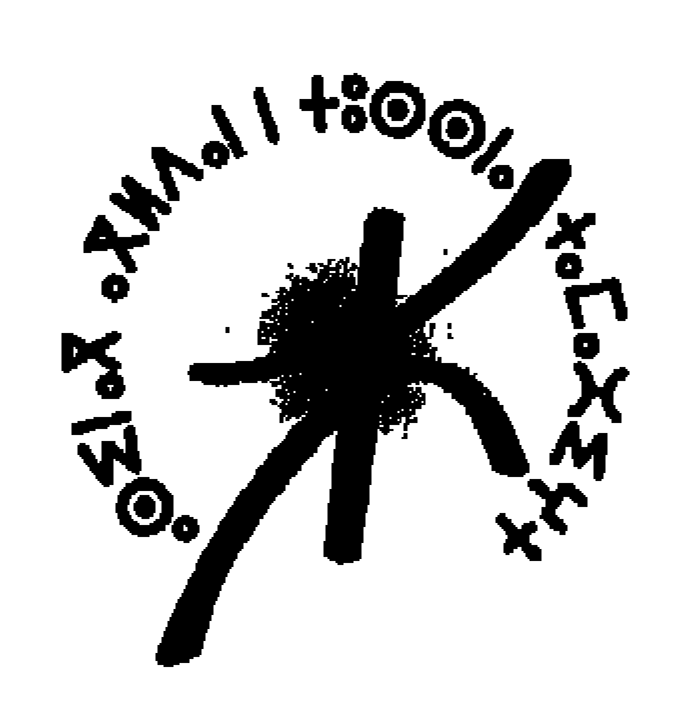
ⴰⵔⵔⴰⵜⵏ ⵏ ⵜⵎⴰⵣⵉⵖⵜ : ⵓⴷⴷⵓⵔ ⵏⵙⵏ ⴷ ⵉⵙⵓⵢⴰⵙ ⵏⵙⵏ



تنسيق وتقديم الأستاذ محمد حمام

الرباط 2004

المملكة المغربية
المعهد الملكي
للثقافة الأمازيغية
مركز الدراسات
التاريخية والبيئية



ⵜⴰⴳⵍⴷⵉⵜ ⵏ ⵍⵎⵖⵔⵉⴱ
ⴰⵙⵉⵏⴰⴳ ⴰⴳⵍⴷⴰⵏ
ⵏ ⵜⵓⵙⵙⵏⴰ ⵜⴰⵎⴰⵣⵉⵖⵜ
ⴰⵎⵎⴰⵙ ⵏ ⵜⵖⵓⵔⵉⵡⵉⵏ ⵓⵎⵣⵔⵓⵢ
ⴷ ⵜⵡⵏⴰⴹⵜ

سلسلة الندوات والمناظرات : - رقم 1 -

المخطوط الأمازيغي : أهميته ومجالاته
أرّاتن ن تمزيغت : ؤدّورنسن ديسوّياس نسن
ⴰⵔⵔⴰⵜⵏ ⵏ ⵜⵎⴰⵣⵉⵖⵜ: ⵓⴷⴷⵓⵔ ⵏⵙⵏ ⴷ ⵉⵙⵓⵢⴰⵙ ⵏⵙⵏ

تنسيق وتقديم : محمد حمام

الرباط 2004

منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية

مركز الدراسات التاريخية والبيئية

سلسلة الندوات والمناظرات : - رقم 1 -

العنوان : **المخطوط الأمازيغي : أهميته ومجالاته**
أرّاتن ن تمزيغت : وْدّور نسن د يسويّاس نسن

السلسلة : سلسلة الندوات والمناظرات - رقم 1 -

التنسيق : محمد حمام

الناشر : المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية

الإخراج والمتابعة : مركز الترجمة والتوثيق والنشر والتواصل

تصميم الغلاف : وحدة النشر (مركز الترجمة والتوثيق والنشر والتواصل)

صورة الغلاف : ابراهيم عامري

المطبعة : مطبعة المعارف الجديدة - الرباط

رقم الإيداع القانوني : 2004/1870

« ⵎⴰⵏⵉⵖ ⵉⵍⵍⴰ ⵍⴽⵜⴰⴱ ⵉⵏⵏⴰⵏ : ⵓⵔ ⵉⵣⵔⵉ
ⴰⵢⵎⵍ ⵢⴰⵏ ⴷⴷⵉⵏ ⵉ ⵍⵇⴰⵡⵎ ⵙ ⵍⵎⴰⵣⵉⵖⵉ ? »

«مَـا نِيغْ إِيلاً لْكْتَـابْ إِنَّانْ : أُورْ إِزْرِي أَيْمْلْ يَانْ دِّينْ إِلْقَـوْمْ - سْ - لْمَازْغِي ؟».

« أين يوجد الكتاب الذي قيل فيه : بأنه لا يجوز تعليم وشرح الدين (الإسلامي) للقوم (أي الأمازيغ) باللغة الأمازيغية ؟»؛ عن مخطوط القرويين الموسوم بعقائد الدين، الفصل 28، جواب المنكرين، ص. 346، سطر 15، (الفصل المذكور يقع بين الصفحات 286-358)، لمؤلفه ابراهيم أوعبدالله أزناگ المتوفي سنة 1005 هجرية..

تنبيه

نلفت انتباه القارئ الكريم إلى أنه، نظرا لأسباب تقنية، فإن حرف «الكاف المعقودة» في هذا المؤلف مرسوم على الشكل التالي " ݣ"، كما أن علامة السكون (°) تظهر كأنها دال مصغرة (ہ).

الفهرس

تقديم

نظم مركز الدراسات التاريخية والبيئية بالمعهد الملكي للثقافة الأمازيغية في إطار برامجه الهادفة إلى المساهمة في إبراز الموروث الثقافي الأمازيغي، يوما دراسيا احتضنته المكتبة الوطنية يوم 11 أكتوبر 2003 حول **«المخطوط الأمازيغي: أهميته ومجالاته»**، إيمانا من المركز بأهمية هذا المخطوط ودوره في التاريخ المغربي وحضارته. وهذا المخطوط له تاريخ عريق لا زال مجهولا يتطلب الكشف عنه. وما هذا اليوم إلا خطوة أولى في بداية هذا الطريق. فالنقائش المتعلقة بالخط الأمازيغي تيفيناغ ما قبل الإسلام القديمة، تعود إلى ما يفوق ألف سنة قبل الميلاد حسب بعض علماء الآثار. وتحدثنا المصادر التاريخية الوسيطية عن وجود المخطوط الأمازيغي المكتوب ولا سيما بالحرف العربي منذ القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي. وتشمل موضوعاته المجالات المختلفة الدينية منها وغير الدينية، كالشعر، والتاريخ والجغرافية والطب والفلاحة وغيرها. وفي هذا رد على من ينكر وجوده خصوصاً بالمغرب.

وتبين المعطيات التاريخية المنبثة في المصادر، مكانة اللغة الأمازيغية في كثير من الميادين، وخصوصاً في المجال الديني والسياسي بعد وصول الإسلام إلى الشمال الإفريقي، وانتشاره تدريجيا في هذا المجال الأمازيغي الواسع. وهكذا فقد استخدمها أتباع المذهب الخارجي لنشر مذهبهم. ولعل أقدم كتاب أُلف باللغة الأمازيغية خلال العهد الإسلامي في الدين، هو كتاب مهدي النفوسي أحد مشايخ قبيلة

نفوسة في بداية القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي، للرد على نفّاث بن نصر الذي طعن في سلوك الإمام أفلح بن عبدالوهاب. وقد ورد عند الدرجيني في كتاب طبقات المشايخ بالمغرب، أن من بين أسباب تأليفه باللغة الأمازيغية، كما قال: «إنما وضعها واضعها باللسان البربري ليتناقلها البربر، فكالهم بصاعهم ولم يُطفِّف ولم يبخس ولم يعد من الألفاظ ما يفهمونه، ولا أغرب ولا أعرب بحيث يتوهمونه »[1].

وخلال النصف الثاني من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، ألف أبو سهل الفارسي، ترجمان الإمام أفلح فيما يخص اللغة الأمازيغية التي كان يتقنها، اثنيْ عشر كتَابَ شعر باللغة الأمازيغية، في مجال التجمعات الإباضية في شمال إفريقيا. وهذه المؤلفات تمت سرقة جزء منها من طرف النكار في زمن تمرد أبي يزيد بن مخلد بن كيداد الملقب بصاحب الحمار «بوويغيول». أما الباقي، فقد التهمته النيران في حريق قلعة بني درجين في منطقة قسطيلية، وذلك سنة 440 هـ/ 1048م. وفيما بعد جُمع جزء من هذه الأشعار اعتمادا على الذاكرة في كتاب يتكون من أربعة وعشرين فصلا. وربما إلى هذا المختصر يشير أبو محمد عبد الله بن محمد اللواتي الذي عاش خلال النصف الأول من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، في مؤلفه الذي نسبه إليه الوسياني في سيره[2]. والمعروف أيضا أن لأبي محمد عبدالله بن ناصر بن ميال بن يوسف اللواتي، المتوفى سنة 528 هـ/ 1133م، في قرية أكْلو الواقعة في وادي أريغ، وذلك عن سن تقارب

---

(1) الدرجيني «أبو العباس أحمد بن سعيد»، طبقات المشايخ بالمغرب، تحقيق ابرهيم طلاي، البلبة بالجزائر 1974، ج.2، ص. 314.

(2) الوسياني، أبو الربيع بن عبدالسلام، كتاب السير، (ص. (115، مخطوط رقم 277، مجموعة سموغورزفسكي (ص. 1، 189)، كراكوفيا، نقلا عن تاديوس ليفيتسكي، المؤرخون الإباضيون في افريقيا الشمالية، ترجمة ماهر جرار وريما جرار، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000، ص. 116 - 115، الشماخي، كتاب السير، ص. 290-289.

المائة، أن له شرحاً باللغة الأمازيغية يتعلق بمجموعات الآثار الإباضية المكتوبة باللغة العربية لمن كانوا لا يتكلمون سوى اللغة الأمازيغية [3]. ومن مؤلفات أبي العباس أحمد بن عثمان سعيد بن عبد الواحد الشماخي المتوفى سنة 928هـ / 1522م، تأليف باللغة الأمازيغية عبارة عن خلاصة للمذهب الإباضي، ترجمه أبو حفص عمر بن جميع النفوسي إلى اللغة العربية. وحسب تاديوس ليفيتسكي، لا يزال هذا الكتيب متداولا في المدارس الإباضية في الجزائر وتونس إلى وقت قريب. ويتكون هذا الشرح من عدة كراسات بخط اليد، وتوجد نسخ منه في منطقة المزاب [4].

وفي المغرب الأقصى، كما هو معروف تحدث أبو عبيدالله البكري عن قرآن برغواطة وأورد منه مقتطفات في كتابه المسالك والممالك [5]. وكانت للمهدي بن تومرت مؤلفات باللغة الأمازيغية. والذي كان - حسب عبد الواحد المراكشي - من أفصح أهل زمانه في هذه اللغة [6]، إذ ألف حسب تعبير نفس المؤرخ «عقيدة» في التوحيد بلسان تامازيغت [7] شارحاً فيها مذهب التوحيد للمصامدة. ورغم أنه لم يتم العثور عليها حتى الآن، فقد ظلت متوارثة عن طريق الحفظ. وقد ساعدت تآليفه هاته على نشر الإسلام باللغة الأمازيغية ونشر المذهب الموحدي خلال فترة حكم الموحدين. ومن جملة المؤلفات الأمازيغية المشهورة

---

(3) تاديوس ليفيتسكي، المؤرخون...، ص. 88.
(4) ن، م، س، ص. 49.
(5) أبو عبيد الله البكري، كتاب المسالك والممالك، تحقيق وتقديم أدريان فان ليوفن وأندري فيري، الدار العربية للكتاب - المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، بيت الحكمة، 1992، ج. 2، ص. 826.
(6) عبدالواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق وتقديم محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، دار الكتاب، الدارالبيضاء، 1978، 274
(7) ن. م. س.، ص. 274-275.

بالمغرب أيضا، مؤلفات أحمد بن ناصر من تمڴروت، ومؤلفات ابرهيم أو عبدالله أزناگ، ومحمد بن علي ابراهيم أسُسْ أوْزال والتملي وغيرهم. ولحسن الحظ، وصلتنا مخطوطاتهم، والبعض منها بخط أيديهم. وللعلم تتوفر حاليا المكتبة الوطنية على رصيد ليس بالهيِّن منها. كما تتوفر على العديد من الوثائق باللغة الأمازيغية. كما تتوفر خزانة كلية الآداب بالرباط على بعض المخطوطات والوثائق الأمازيغية.

ومن الشعراء الأمازيغ المشهورين الذين دُوِّنت أشعارهم، الراوي الإباضي أبو يعقوب بن يوسف بن محمد الوسياني، الذي يقول عنه الشماخي في كتاب السير، أنه جمع أشعاراً أمازيغية نقلا عن أيوب بن اسماعيل وآخرين [8]. ولاحظ ابن خلدون في عهده تداول مجموعة من الأشعارِ الأمازيغية في موضوع أدب الملاحم، ومعظمها يتعلق بقبائل زناتة وتنسب إلى كاهن، أو إلى ولي، أو لنبي عاش قبل ظهور الإسلام، يسمى موسى بن صالح بن يفرن [9]. ومن الشعر الأمازيغي المكتوب في المغرب على سبيل المثال، شعر سيدي حمو الطالب بسوس، وشعر سيدي أحماد أُفِلْنْتْ من منطقة تْدْغْتْ (التي تُنطق خطأً تودغة).

ومن اللافت للانتباه، أن التأليف المعجمي حظي كذلك باهتمام بعض الفقهاء الأمازيغ؛ ولعل أقدمها هو تأليف ابن تونارت الذي عاش خلال القرن السادس الهجري. ومن المشهورين أيضا في هذا الباب، الفقيه عبدالله بن الحاج شعيب الهلالي (من قبيلة إيلالن في الأطلس الصغير)، من قرية تلِضْلاَ الواقعة بناحية تازناخت بإقليم ورزازات حالياً؛ عاش خلال القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي. وقد وصلتنا نسخة من معجمه العربي - الأمازيغي بخط يده، محفوظة الآن بايكس اون پروڤانس، مؤرخة في سنة 1076هـ / 1665م.

---

(8) الشماخي، كتاب السير، ص. 498.

(9) ابن خلدون (عبدالرحمان)، المقدمة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1979، ص. 588.

وحسب معلومة مكتوبة عليها باللغة الفرنسية، فهده النسخة النادرة اشتراها ارسين روكس سنة 1950م من أحد فقهاء زاوية تمكّلشت بالأطلس الصغير. ويبدو أن معجم الهلالي كان واسع الانتشار، بحيث وصلتنا منه نسخ عديدة من القرن الثامن عشر، والتاسع عشر، والعشرين.

والمعروف كذلك، أن الأمازيغ دونوا إزرفان، أوتيعقيدين، أي القوانين والأعراف، إما في شكل ألواح (كما هو الحال في سوس)، أو في عدة أوراق كما هو الشأن في مناطق الجنوب الشرقي المغربي لدى قبائل أيت عطا و أيت يفلمان وأيت مرغاد وأيت سدرات وإيمغران وقبائل الأطلس الكبير.

إن الإشارات السابقة الذكر، هي غيض من فيض وتُبَيِّن بوضوح أن اللغة الأمازيغية لم تكن لغة شفاهية فحسب، بل كانت لغة تدريس وكتابة كأية لغة أخرى لها قواعدها وصرفها ونحوها ومعانيها، وأنها بالتالي لعبت أدواراً طلائعية في الحفاظ على الموروث الثقافي المغاربي الأمازيغي منه على وجه الخصوص، واستخدمت في النظام التعليمي الديني كلغة تدريس وشرح لمبادئ الإسلام للذين لا يعرفون إلا اللغة الأمازيغية. ولذلك، فهي تستحق منا اليوم أكثر من أي وقت مضى، كل الاهتمام والعناية ورد الإعتبار لها والإعتراف لها بالجميل.

ومن جهة أخرى، فهذا الرصيد من المخطوطات الأمازيغية في حاجة إلى من ينفض الغبار عنه للتعريف به وبأهميته وتحقيقه ونشره، ووضعه رهن إشارة الباحثين المهتمين بتاريخ وحضارة الشمال الإفريقي، علما بأنه يكتنز معلومات لسنية واقتصادية واجتماعية وحضارية دفينة.

ويطيب لي أن أشكر كل الأساتذة الباحثين على قبولهم دعوتنا والمشاركة بأبحاثهم في أعمال هذا اليوم الدراسي، خصوصاً أن من بينهم من تحملوا عناء السفر. كمثل الأستاذ هاري سترومر من جامعة ليدن بهولندا. وللعلم، هو من الباحثين الأوروبيين المتخصصين في الدراسات الأمازيغية وله معرفة جيدة بالمخطوط الأمازيغي الذي «سافر» من المغرب إلى أوربا. ومداخلته أعطتنا فكرة عن مواطن المخطوط الأمازيغي الموجود في أوربا.

وإنني لأهتبل هذه الفرصة لأقدم باسمي ونيابة عن الباحثين العاملين معي في مركز الدراسات التاريخية والبيئية ألطف تشكراتنا وأعمقها للسيد عميد المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية على التشجيع المعنوي الذي ما فتئ يقدمه لمركز الدراسات التاريخية والبيئية ورعايته له بعطفه إذ لم يدّخر أي جهد في سبيل إنجاح أنشطته.

كما لا يفوتني كذلك أن أثمن عاليا المجهودات المضنية التي اضطلع بها موظفو المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية وعلى رأسهم السيد الأمين العام والأساتذة العاملين بالمركز والإداريين والأعوان الذين ساهموا من قريب أو بعيد في إنجاح هذا اليوم الدراسي وإنجاح بقية أنشطة المركز الأخرى.

كما نشكر السيد وزير الثقافة و السيد الكاتب العام لنفس الوزارة، والسيد مدير المكتبة الوطنية ونائبه على ما قدموه لنا من مساعدات مادية ومعنوية لإقامة هذا اليوم الدراسي في رحاب المكتبة الوطنية التي تحتضن جزءاً مهما من ذاكرتنا الوطنية بما فيه المخطوط الأمازيغي. ونشكر بنفس المناسبة باقي موظفي وتقنيي وأعوان المكتبة الوطنية على مجهوداتهم ليمر هذا اليوم الدراسي في أحسن الظروف وأسعدها.

ويسعد مركز الدراسات التاريخية والبيئية أن يقدم للقارئ الكريم، مداخلات الباحثين الذين شاركوا في اليوم الدراسي حول المخطوط الأمازيغي. وعددها إحدى عشر مداخلة، اثنتان منها باللغة الفرنسية. وهذه الدراسات المجموعة في هذا الكتاب تشكل حصيلة مهمة، أغنت النقاش وعمقته في موضوع لا يزال بكراً خصوصاً، إذا علمنا أن معديها هم ثلة من الباحثين الذين تعاملوا، منذ مدة، مع المخطوط بصفة عامة والمخطوط الأمازيغي بصفة خاصة.

محمد حمام

مدير مركز الدراسات التاريخية والبيئية

مداخلات باللغة العربية

التعريف بالمخطوط

الأستاذ أحمد شوقي بينبين

مدير الخزانة الحسنية

الرباط

ما المخطوط؟

جرت عادة الباحثين المهتمين بالمخطوطات من حيث تاريخها وفهرستها ونسخها وتوثيقها وتحقيقها، وما ماثل هذه الموضوعات، أن لا يتعرضوا للكلام عن كلمة مخطوط من حيث التأثيل والتأصيل اللغوي، ومن حيث استعمالها لأول مرة في النصوص العربية. وقد برر هذا بعض الغربيين المختصين في هذا المجال، بكون اللغة العربية ما زالت تفتقر إلى معجم تاريخي يحدد تاريخ الألفاظ، ويشير إلى النصوص الأولى التي ظهر فيها اللفظ على غرار معاجم اللغات الغربية. وقبل الخوض في المفهوم الدلالي لهذا اللفظ، نشير إلى أن الفيلولوجيين [1] لا يقبلون استعمال لفظ مخطوط إلا إذا ألحق بكلمة كتاب، فيقولون الكتاب المخطوط، لأنه ليس كل ما كتب باليد يعتبر بالضرورة مخطوطا. فشواهد القبور، وما نقش على الأحجار، وما نقر على الصخور، لا يمكن

1- الفيلولوجيا بالمفهوم الألماني هي الدراسة العلمية الأدبية، وتعني العناية بتوثيق النصوص وتحقيقها ونشرها والتعليق عليها، ولا نعني بها فقه اللغة على المستويات الصوتية والصرفية والتركيبية أو النحوية والدلالية والأسلوبية والبلاغية والوزنية والشعرية.

اعتبارها مخطوطا. إن الكتابة باليد ليست ضرورية في ذاتها بالمفهوم الفيلولوجي للمخطوط. فلنبحث الآن في مادة هذا اللفظ في اللغة، مع محاولة رصد بداية تداوله، وذلك باستشارة المعاجم واستقراء النصوص التي يمكنها أن تمدنا بمعلومات عن بدء استعماله [2].

ومن الطبيعي عند أهل اللغة، أن يبحثوا عن جذور الكلمات في أول نص عربي تم جمعه ألا وهو القرآن الكريم: ومن يقرأ في كتاب الله، يجد أن الإشارة الوحيدة لهذا الجذر هي ما جاء في قوله تعالى في سورة العنكبوت « وما كُنتَ تَتلُو مِن قبلِه من كِتابٍ ولا تخُطُّه بيَمينِكَ. إذاً لاَرْتَابَ المُبْطِلون» [3] فجاءت المادة بصيغة الفعل ولا أثر لصيغة اسم المفعول الذي هو موضوع البحث.

ولن يجد المستقرئ لدواوين الشعر العربي، منذ الفترة الإسلامية إلى العصور الأخيرة، أثراً لِكَلِمَة مخطوط، كما تخلو منها المعاجم العربية باستثناء ما جاء عنها في أساس البلاغة للزمخشري (538هـ) وتاج العروس للزبيدي (1205هـ). جاء في الأول: خط الكتاب يخطه، وكتاب مخطوط. وجاء في الثاني: كتاب مخطوط أي مكتوب فيه. وتبقى العربية خلوا من هذا اللفظ، حتى اختراع الطباعة التي ستحدث تحولا في الحضارة العربية وتفرز مصطلح "مخطوط"، إذ ما كان ليظهر لولا ظهور ما يقابله وهو كلمة "مطبوع". ويصعب على الباحث، في الوقت الراهن، تحديد أول نص عربي ظهر فيه اللفظ، لأن ذلك يدعو إلى استقراء شامل لكل النصوص الحديثة المتعلقة باكتشاف الطباعة.

---

2 – نشير إلى أن هذا البحث على دراسة المصطلح، من حيث الأصل والاستعمال والشكل ولا يتعداهإلى دراسة المخطوط كنص من النصوص، أو كقطعة مادية التي هي من اختصاص علم المخطوط بمفهومه الحديث الذي يطلق عليه في الغرب لفظ codicologic.

3 – سورة العنكبوت آية47 .

والذي لا شك فيه، هو أن اللفظ ظهر مع ظهور الطباعة حجرية كانت أو سلكية. ولم يكن هذا الحدث خاصا باللغة العربية وحدها، بل حدث كذلك في اللغات الأخرى التي عرفت بلادها هذا الاكتشاف الجديد. إن الباحث في لفظ "مخطوط" في اللغة الفرنسية (manuscrit)، يجد أنه استعمل لأول مرة في أحد نصوص هذه اللغة في سنة 1594م، أي في نهاية القرن السادس عشر للميلاد. وعلى الرغم من كون اللفظ لفظا لاتينيا (manuscriptum)، فإن الفرنسيين استعاروه من اللغة الإيطالية التي عرفت استعمال اللفظ قبل فرنسا، بحكم سبقها إلى التمسك بالنهضة الحديثة [4]. وقد أطلقوا على المخطوط لفظ (libri)[5] اللاتيني في مقابل مطبوع منذ بداية الطباعة، أما اللفظ المتداول الذي ظل طوال العصر الوسيط يطلق على الكتاب الذي لم يكن إلا مخطوطا فهو الكراس أو (codex) وهو لفظ لاتيني ويعني "كتاب"[6].

أما لفظ (manuscriptum) اللاتيني، فإنه ظهر في هذه اللغة منذ القرن الثالث الميلادي. ولم يكن يعني ما أصبح يعنيه كمقابل للمطبوع في عصر النهضة، بل كان يدل على النسخة التي يخطها المؤلف بيده لا بيد غيره، والتي أصبح يطلق عليها اليوم في الغرب لفظ أوتوغراف

4 – إن إنشاء أول أكاديمية بالغرب التي عرفتها مدينة فلورنسا الإيطالية في القرن الخامس عشر. ولم تنشأ الأكاديمية في فرنسا التي يعتبرها البعض، أول أكاديمية في فرنسا التي يعتبرها البعض، أول أكاديمية حديثة إلا في النصف الأول من القرن السابع عشر للميلاد أي في سنة 1634م علي عهد ريشوليو Richelieu.

5 – LIbri – لفظ أصله liber (وهو livre في الفرنسية الحديثة) والمعنى التأثيلي للفظ «liber» قشرة الشجرة التي كانت إحدى مواد الكتابة عند اللاتين. ونفس الشيء للفظ Biblo التي يعني "كتاب" في اليونانية، ويعني في أصله قشرة الشجرة التي يكتبون عليها. وهو لحاء الشجر عند العرب. وBiblio الكثيرة الاستعمال تصغيرللفظ Biblo.

6 – في اللغة التركية مثلا، لم يظهر لفظ (آل يازمة) بمعنى مخطوط إلا بعد ظهور الطباعة وكانت تركيا من بين الدول الإسلامية الأولى التي سمحت بدخول الطباعة خصوصا بالحرف العبري.

(autographe)[7]، ويُسميها العرب النسخة الأصلية. والدليل على ذلك، هو أن المفكر اللاتيني في القرن الأول قبل الميلاد، شيشرون (Cicéron) استعمل كلمة منوسكريتوم (manuscriptum) اثنتا عشرة مرة بمفهوم "أوراق خاصة"، وهي أوراق خطها بيده. ولم تكن اللغة اليونانية لتختلف عن اللغة اللاتينية في هذا الاستعمال. فلفظ مخطوط اليوناني الذي ظهر في هذه اللغة في القرن الثاني قبل الميلاد، كان يعني تلكم النسخة التي خطها المؤلف بيده. ولم تصبح في مقابل المطبوع إلا بعد عصر الطباعة شأن اللفظة اللاتينية. وقد أطلق على المخطوط اليوناني مصطلحات أخرى طوال العصر الوسيط.

أما العرب، فقد سموا الكتاب المخطوط تسميات متعددة تختلف باختلاف العصور. فقد أطلقوا عليه في القرن الأول الهجري الرقيم، الزبور، المصحف [8] (بفتح الميم)، السفر،

---

7 – لفظ (autographe) يوناني مركب من كلمتين : أوتو (auto) : ذات، وجرافتين (graphein) : كتابة، وهي النسخة التي نسخها المؤلف بنفسه. وقد ظهرت الكلمة في القرن السابع عشر عند العدول والمحامين وأصحاب القانون : فإذا نسخ العدل ووقعه فهو أصلي. ومن العقود انتقل اللفظ إلي المخطوط. وليس عندنا في العربية لفظا مقابلا لذلك، ونكتفي بقولنا : نسخة أصلية تلكم التي نسخها المؤلف أو أشرف على نسخها أو صححها أو قارب ذلك. ومن يمعن النظر في قوله تعالى : «ولا تخطه بيمينك» يجد أن الخط مرتبط باليد، وأن المخطوط هو الذي يكتبه الكاتب بنفسه. ولو تيسر للغة العربية أن تنحت لفظ مخطوط في الزمن الأول لكان يدل على ما كان يعنيه لفظ مانسكريتم (manuscriptum) اللاتيني ولفظ مخطوط اليوناني من كونه النسخة التي يخطها المؤلف بيده لا بيد غيره.

8 – لفظ "مَصحف" بفتح الميم كان يعني كتابا في العربية في العصر الأول : يقول ابن عبدالبر في "القصد والأمم" "من جملة ما وجد في الأندلس اثنان وعشرون مصحفا محلاة، كلها من التوراة، ومصحف آخر محلى بفضه ... وكان في المصاحف مصحف فيه عمل الصنعة و أصباغ اليواقيت". أما مُصحف بضم الميم فحبشية أطلقت على القرآن الكريم بعدما تم جمعه في عهد الخليفة عثمان، ويرجع السبب في ذلك إلي أن مادة (ص،ح، ف) حسب المستشرق الألماني نولدكه توجد في العربية وفي الحبشية بمعنى حفر، نقر ومنها كتب؛ وتوجد كذلك في الحميرية اليمنية حسب ابن دريد (321 هـ)، وهذا ما دفع

الرسالة، الكراسة [9]، الجلد، الجزء، المجلدة، الكناش أو الكناشة [10]، الدفتر [11] وغيرها.

وقد أطلق على الكتاب في عصر التدوين والتّأليف، الديوان أو المدون، والتأليف أو المؤلف، والتصنيف أو المصنف. وابتداء من القرن الرابع للهجرة حين اكتملت النهضة العلمية والتأليفية في المجتمع العربي، أصبح يطلق على مصادر [12] التراث تسميات مثل، الكتب الأصول، الكتب الأمهات، الكتب الأساسية لما تحويه من أساسيات العلم، بالإضافة إلى استعمال مصطلحات مثل التقييد، الفهرسة، الكشكول[13]، وغيرها كثير. وإن كان ظهور لفظ "مخطوط" مرتبطا بصناعة المطبوع في التراث العربي، فإننا نشير إلى أن المغاربة استعملوا عبارة "نسخة قلمية" في مقابل كتاب مطبوع، قبل أن يجاوروا

المستشرق نولدكه (1930م) إلى القول بأن "مصحف" استعيرت إما من الحبشية أو الحميرية. وعلى الرغم من تأكيد السيوطي في الإتقان بأنها حبشية حسب رواية ابن مسعود، فإن اللغة الأثيوبية بشقيها "الأمهرية والجعزية" استعارت الأبجدية العربية الجنوبية مما يؤكد الأصل الحميري لهذا اللفظ.

9 - من الكلمات الغامضة في العربية ويعتقد البعض أنها ترجمة لكلمة كوديكس codex اللاتينية.

10 - كلمة سريانية أصلها كوناش وكوناشة وهي مستعملة قديما.

11 - دفتر : يونانية أصلها دفتريا (Diphteria) ومعناها الجلد كان يكتب عليه وتوجد الكلمة في النصوص اليهودية والآراسية والسريانية القديمة، ولعلها دخلت العربية عن طريق الفارسية. وذكر المؤرخ اليوناني هيرودت (Hérodote) أنها كلمة فينيقية، وأنها من ضمن الكلمات الفينيقية التي دخلت اليونانية قديما، الشيء الذي يؤكد الأصل السامي لهذا اللفظ. انظر معجم مصطلحات المخطوط العربي : أحمد شوقي بنبين - مصطفى طوبي.

12 - مصدر بمعنى كتاب ، لفظ حديث وهو ترجمة للكلمة الفرنسية (source). ولم تستعمل عند القدماء إلا في علم النحو.

13 - لفظ فارسي يعني وعاء من المعدن أو الخشب مرتبط بالدراويش يجمعون فيه الصدقات من مال وطعام وغير ذلك. ولذلك أطلق الكشكول على ذلكم الكتاب المتنوع الموضوعات. ومن أشهر هذا النوع من الكتب كشكول العاملي في القرن العاشر للهجرة.

المشارقة في استعمال لفظ مخطوط. وهذا ما صنعه علماء الإنسانيات (humanistes) عندما لجأوا إلى لفظ [14] libri اللاتيني عوض لفظ codex طوال عصر النهضة أي إلى نهاية القرن السادس عشر للميلاد، حينما اصطلحوا على لفظ manuscrit اللاتيني والذي سبق الإيطاليون إلى استعماله لنفس الغاية قبل الفرنسيين.

ومن حيث الشكل، فإن المخطوط العربي استعار شكل الكوديكس اللاتيني الذي كان عموديا [15]، وهو الشكل الذي ما زال يحتفظ به الكتاب حتى اليوم. ومعلوم أن الكوديكس ظهر تاريخيا في نهاية العصر القديم بعد انتقاله من الكتاب الملف أو اللفافة. وكان اللاتينيون يطلقون عليه لفظ (volumen)[16] وبما أن هذا البحث لم يكن من شأنه الاهتمام بالجوانب العلمية والباليوغرافية والكوديكولوجية للكتاب المخطوط، فإننا نرى من الواجب توضيح بعض النعوت التي ألصقت بالكتاب المخطوط في مختلف أنواع التراث، خصوصا بعدما أصبح موضع دراسة المختصين من حيث علمه وتاريخه. ولا ندعي أننا سنحيط بها جميعا، بل سنكتفي بالإشارة إلى بعضها في انتظار تخصيص هذا الموضوع ببحث خاص. إن أول ما يجب توضيحه في هذا المجال هو ما يسمى بالمخطوط العربي الإسلامي.

---

14 – Libri تعني كتاب وهو الكوديكس. ويعتقد الفرنسيون أن المطبوع قبل كل شيء كتاب وليس سوى بديل (succédané) للمخطوط.

15 – على الرغم من القول بأن الكتاب العربي المخطوط لم يظهر في البداية إلا بشكل عمودي، فإن مكتبة جامعة هيدلبرج تحتفظ ضمن مجموعة البردي العربية بكتاب عربي بشكل لفافة يرجع إلى القرن الثالث للهجرة. وربما احتفظت بعض الخزانات الأوروبية ببعض النسخ القرآنية على شكل لفافات. وقد ظهرت في العصور الأولى في الأندلس بعض المصاحف القرآنية بشكل مربع. وقد كان هذا في فترة معينة محدودة، ولم يلبث أن عاد النساخ إلي الشكل العمودي للكتاب المخطوط خصوصا في مجال المصحف.

16 – لفظ أصبح في الفرنسية الحديثة (volume).

إن المخطوط العربي الإسلامي هو المخطوط الذي تناول موضوعا من الموضوعات الأدبية أو الفلسفية أو العلمية باللغة العربية ونسخ بالحرف العربي. ويتسع ليشمل مخطوطات الدول الإسلامية غير العربية، كلغات إفريقيا السوداء واللغات الحامية كالأمازيغية، واللغات الهندية الأوربية كالفارسية والأفغانية والأوردو (urdu)، أو الباكستانية، والعثمانية والتركية وغيرها، من لغات الشعوب الإسلامية التي استعارت حرف القرآن للكتابة. وقد تتبعها العالم الأوربي جوفروا روبير (G. Roper) وأحصاها فوجدها مائة وتسعة وعشرين (129) لغة.

ويدخل في هذا الإطار، المخطوط الذي عالج موضوعا عربيا، ولكنه بهجائيات غير عربية. إن الأرصدة العربية التي تملأ الخزائن الدولية تحتفظ بمجموعات من المخطوطات العربية نسخت بالحرف العبري كبعض مؤلفات ابن رشد الحفيد[17]، أو نسخت بالحرف اللاتيني أو كتبت بالحرف الكرشوني وهو الخط السرياني المستعمل في أحد الأديرة المسيحية في سورية يسمى كرشونة [18] وفي مقابل المخطوط العربي الإسلامي، نجد المخطوط العربي المسيحي، إنه ذلكم الكتاب الذي يكون صاحبه مسيحيا، لكنه يكتب باللغة العربية ويتناول فيه موضوعا عربيا أو يعالج قضايا عقائدية مسيحية. ومن الأمثلة على ذلك، مؤلفات الكاتب المسيحي فضل الله الصقاعي 726هـ، من نصارى دمشق، وضع مختصرا لوفيات الأعيان لابن خلكان، كما

---

17 - بعض تلخيصات وترجمات ابن رشد للكتب الفلسفية اليونانية لم تصل إلا بالحرف العبري. وهذا من إيجابيات هذه الظاهرة.

18 - المخطوط الكرشوني هو المخطوط العربي المكتوب بالحرف السرياني. ومدينة كرنوشة (وهي تسمية سريانية، قيل كرشون بمعنى البطن بالسرياني، وقيل هو اسم لأحد النصارى السريان)في سورية تعيش فيها جماعة سريانية في دير لهم وكتبوا العربية بحروف سريانية.

وضع ذيلا عليه وسماه تالي وفيات الأعيان. كما وضع مؤلفون نصارى كتبا بالعربية أبرزوا فيها أهم القضايا الدينية المسيحية. وقد اهتم، بهذا النوع من المخطوطات، المستشرق الفرنسي جيرار طروبو (G.Troupeau)، فوضع في سنة 1972 و 1974 فهرسا في مجلدين للرصيد العربي المسيحي المحفوظ بالخزانة الوطنية الفرنسية [19].

ومن بين التسميات التي سُمِّيَ بها المخطوط ما اصطلح عليه في الغرب بالمخطوط الجامعي (universitaire manuscrit)، ويطلق على الكتاب الذي يتضمن المواد الأساسية التي تدرّس بالجامعات الغربية في نهاية العصر الوسيط وهي: الطب، واللاهوت، والقانون، والفنون الحرة، ولا يعتبر المخطوط جامعيا ما لم يتناول هذه العلوم. ومنها كذلك ما نعتوه بالمخطوط الحديث، وهو ذلكم الكتاب الذي خطه المؤلف بيده وقدمه للطابع أو الناشر، وهو مصطلح حديث النشأة ظهر بعد اكتشاف صناعة الطباعة. ومنها أيضا ما اصطلح عليه بالمخطوط الهجين. فالهجين في العربية من كان أبوه عربيا وأمه أعجمية. ويطلق هذا الوصف على المخطوط الذي يتم نسخه على مواد كتابية مختلفة، كأن ينسخ جزء منه على الرق والجزء الآخر على الورق، أو يكتب قسم منه على الكاغد العربي الأصيل، وقسم آخر على الورق الأوربي، الذي يحمل تلكم العلامة المائية التي يطلق عليها الغربيون (Filigrane) والتي يخلو منها الورق

---

19 - نشر المستشرق الفرنسي G.Troupeau بحثا درس فيه وقفات مجموعة من المخطوطات المسيحيةالمحفوظة بالخزانة الوطنية الفرنسية، وتبين له أن مثل هذه الدراسات قد تسهم في دراسة التاريخ والجغرافيا للديانة المسيحية. وقد أبرز واحد من هذه المخطوطات وجود طائفة قبطية مسيحية في جزيرة قبرص لأنه كان موقوفا على خزانة كنيسية قبطية في الجزيرة الوقفية. وكان ذلك في القرن السابع عشر للميلاد.
انظر: Les actes du waqf des manuscris arabes chrétiens dans : la tradition manuscrite en : écriture arabe; Paris 2002, P.45.

العربي[20]. ومن الأمثلة على هذا، ذلكم المعجم اللاتيني- العربي[21]، الذي تحتفظ به مكتبة جامعة ليدن بهولندة، ورقتا العنوان والتختيمة من الرق ومعظم المتن نسخ على الورق. وعلى الرغم من اعتبار هذا المعجم استثناء أو مفارقة كوديكولوجية، فإن تركيبه المزدوج يبرز الانتقال التدريجي من الرق إلى الكاغد كمادة للكتابة. ومن النعوت التي ألصقت بالمخطوط العربي لفظ خزائني نسبة إلى خزانة. والمخطوط الخزائني (Bibliophilique) هو المخطوط الأنيق المزخرف، المنسوخ نساخة جميلة رائعة برسم خزانة ملك أو أمير أو وجيه من الوجهاء. وقد يكون مصحفا مذهبا أو كتابا مرصّعا يكتبه خطاط ماهر، ولا تكاد تخلو خزانة من الخزانات العالمية من مجموعة من هذا النوع من المخطوطات، تعرض في غالب الأحيان في أبهاء المكاتب أو في نظائر الزجاج كتحف نادرة. ومنها كذلك، ما يسمى بالمخطوط الدعى (Bâtard)، والدعى في اللغة هو الذي لا يعرف أباه. وفي مجال التراث، هو ذلكم المخطوط الذي لم يقابل على أصل من الأصول أو لم يكن في ملك عالم كبير، أو لم يرتبط سنده بشيخ من الشيوخ، أو لم ينسخه نساخ معروف أو ما قارب ذلك. وكان القدماء يقولون، إن الكتب التي لم تصحّح على مؤلفيها، ولو بوسائط لا يجوز الاعتماد عليها في النقل [22]. وفي مقابل المخطوط الدعى، نجد المخطوط الأصلي أو النسخة الأصلية (Original) وهي التي خطها المؤلف بيده (Autographe)، أو أشرف على نسخها وصححها بنفسه. ومن هذه النعوت كذلك، ما يسمى عند الغربيين بالمخطوط العلمي (Savant) الذي يبرز سمات خاصة قد تميزه عن المخطوطات عامة. ثم المخطوط النادر الذي لا توجد منه إلاّ بضع نسخ، أو

---

20 - من المعلوم أن الكاغيد دخل أوروبا عن طريق العرب والدليل على ذلك وجود كلمة رزمة العربية التي تطلق على إضبارة من الكاغد توجد في كثير من اللغات الأوروبية كالأسبانية RAZMA والبرتغالية REZMA والفرنسية RAME وغيرها.

21 - مكتبة جامعة ليدن (OR.231).

22 - المكاتب الإسلامية : عبدالحي الكتاني. مسودة المكتبة العامة بالرباط 3002م.

يتميز بصور وزخارف قد تميزه عن باقي المخطوطات ككتاب كليلة ودمنة. ومنها المخطوط الفريد الذي لا توجد منه إلاّ نسخة واحدة في العالم. وكم هي كثيرة تلكم المخطوطات الفريدة التي تم تحقيقها اعتمادا على تلكم النسخة الوحيدة. نذكر من بينها طوق الحمامة لابن حزم المحفوظة في خزانة جامعة ليدن بهولندة. وكتاب الانتصار لأبي الحسين الخياط المحفوظة بدار الكتب بالقاهرة، أو كتاب العرجان والبرصان والعميان والحولان للجاحظ، والجزء الخامس من كتاب المقتبس لابن حيان، المحفوظ كلاهما في المكتبة العامة والخزانة الملكية بالرباط.

وقيل المخطوط المؤرخ للمخطوط الذي يحمل تقييد ختامه تاريخ النسخ، وقيل المخطوط المطلق الذي يخلو من تاريخ النسخ.

وخلاصة القول، فإن مصطلح "مخطوط" حديث في كل اللغات وأن ظهوره أفرزه اكتشاف الطباعة. وإذا كان الاهتمام به كمتن قد بدأ منذ نهاية عصر النهضة الحديثة، فإن الاشتغال به كقطعة مادية، بدأ في القرن الماضي في إطار ما يسمى بعلم المخطوط بمفهومه الحديث أو الكوديكولوجيا بعناية الفيلولوجيين اللاتين. وإذا كان المخطوط الأوربي قد خطا خطوات في هذا الإطار، فإن هذا المخطوط العربي الذي يعتبر أضخم تراث في العالم [23] ما زال في المراحل الأولى من دراسته دراسة مخطوطية علمية.

---

23 - تتراوح أرصدة المخطوطات العربية في مختلف خزائن العالم ما بين ثلاثة إلى خمسة ملايين مخطوط، بينما لا تتجاوز المخطوطات اليونانية خمسين ألف مخطوط (50000)، بينما تتراوح المخطوطات اللاتينية بين ثلاثمائة ألف وخمسمائة ألف مخطوط.

المخطوط الأمازيغي مجالات ومضامين

الأستاذ أحمد بوزيد

باحث، تارودانت

عندما يستحضر المرء تلك الإفادات والإشارات الكثيرة التي تناثرت في تضاعيف المصادر والمراجع التاريخية والطبقات، والمناقب والرحلات، وعلى طُرَرِ المخطوطات والكنانيش، هنا وهناك، يتخيل المرء نفسه أمام كم هائل مِن النصوص والآثار الشعرية، في شكل أبيات مفردة أو مقاطع أو قصائد، قيلت في عصرها. وذهبت في الأجيال أَصْدَاءَ تتردد، يتناقلها الكُتَّابُ والمؤرخون، أعلاما وأخبارا عن مُبدعيها كإشارات ذات أهمية كبيرة للباحث والمؤرخ والأديب.

ومع ذلك لا تجد بين هذه الأخبار والإشارات نصّاً مكتوباً أو أثراً مُدَوَّناً، لاعتماد الشفوية في التداول بين الناس خطابا وإنشادا؛ فتلاشت تلك النصوص المعلن عنها بمرور الأجيال.

ولذلك لا نستطيع اليوم أن نقف، في تلك المصادر، على النصوص المتداولة في ما قبل القرن العاشر الهجري، بينما نقف على نماذج قليلة في شكل أبيات مفردة أو مزدوجة يؤكد كتابها أو نساخها، أنها من القرن السابع، أو الثامن أو التاسع الهجري.

أما بعد ذلك، يُلاحَظ ارتفاع وتيرة تدوين النصوص الشعرية على الخصوص بين الفقهاء السوسيين، في دفات المخطوطات والأوراق الفاصلة بين الفنون في الكتب المجاميع، وفي الطُّرَرِ والهوامش... مُحَكِّمِين في ذلك أذواقهم وأريحياتهم الأدبية، ومُيُولاتِهم العلمية والثقافية.

وتَجَمَّعَ من ذلك كَمٌّ من النصوص الشعرية في مختلف الأوزان والمضامين في تضاعيف المخطوطات وبعض المطبوعات الحجرية وغيرها، إلى جانب ما دَوَّنَهُ الباحثون الأجانب المستمزغون من نصوص شعرية ونثرية، لم تكن لتصل إلينا اليوم لولا مبادرتهم إلى تدوينها، مع ما فيها من تحريف وأخطاء.

ويعتبر القرن (10هـ/16م) مبعث حركة التدوين للشعر الأمازيغي بصفة عملية بسوس، اقترنت هذه الحركة بالنهضة العلمية والأدبية الشاملة التي شهدتها سوس في هذا القرن. شارك فيها الحاملون للثقافة العربية والإسلامية من السوسيين العلماء والفقهاء والأدباء والشعراء، والطلبة والمتصوفة على حد سواء، ممن استظلوا بظلال تلك النهضة الفكرية والحضارية لدولة السعديين، وشَرِبُوا من جداول معارفها المختلفة الرقراقة، في تارودانت ,وجبال جزولة وسهولها، وفي مراكش ودرعة وتافيلالت والصحراء، والزاوية الدلائية، وغيرها.

مجالات المخطوط الأمازيغي

من خلال ما توفر من معطيات، يتأكد أن مجالات التأليف بالأمازيغية عند أهل العلم والقلم السوسيين، يشمل ستة عشر مجالا حتى الآن، إن لم يكن العدد أكثر من ذلك، ويمكن تصنيفها إلى صنفين:

المجالات الدينية	المجالات الدنيوية
– العقائد	– اللغة
– تفسير القرآن الكريم	– التاريخ
– الحديث النبوي	– الجغرافيا
– الفقه والعبادات والمعاملات	– الجفريات
– التصوف	– الرحلات ووصف البلدان
– الوعظ والإرشاد	– الطب والصيدلة
– السيرة النبوية	– الفلك والتوقيت
– علوم القرآن	– الفلاحة

فالمجالات الدينية كلها تؤسس للشخصية الإسلامية في الفرد بأبعادها العقائدية والتشريعية والتربية السلوكية، والأخلاقية، تتكامل كلها لبناء المسلم الحق. ولذلك تناولوا هذه الجوانب بالبناء والتهذيب من خلال ما ألفه المؤلفون السوسيون، وترجموه من مصادر العقيدة والتشريع الإسلامي للمسلم الأمازيغي، الذي يتعذر عليه معرفة تلك المعاني والحقائق باللغة العربية. فتولوا تلك المهمة برغبة صادقة، وإيمان قوي.

ففي مجال العقائد، نشطت حركة الترجمة بالأمازيغية منذ العهود الإسلامية الأولى، نظراً للحاجة الملحة إلى تعريف المسلمين الأمازيغ بالله ووحدانيته وصفاته، وما يجب في حقه وما يجوز وما يستحيل... وما إلى ذلك من قضايا الاعتقاد السني.

غير أن هذه الغاية التعليمية في ترجمة العقيدة الإسلامية تم توظيفها فيما بعد في مجالات صوفية ومذهبية سياسية.

ومن النصوص الأمازيغية المذكورة في هذا الباب:

عقيدة المهدي بن تومرت:

وضعها لتلقين مذهبه الفكري والسياسي في إطار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وتتألف من سبعة أحزاب[1] بعدد أيام الأسبوع. وكانت باللغتين العربية والأمازيغية، وذكر ابن السماك العامري [2] أنها كانت موجودة في أيدي الناس بالعربية والأمازيغية في عهده، والنص الأمازيغي مفقود.

عقيدة الشيخ سعيد بن عبدالمنعم الحاحي:

وهي صغيرة الحجم، جمع فيها تعاليم الشرع في أمور العقيدة والعبادة والأخلاق بعبارة موجزة، من غير إغراق في التقسيمات والتفريعات الفقهية والمنطقية ويلقنها باللغتين لمريديه [3]؛ والنص العربي موجود، والأمازيغي مفقود حتى الآن.

وفي مجال ترجمة القرآن، كانت هذه الفكرة تراود بعض الفقهاء السوسيين بقصد تقريب معاني كتاب الله للأمازيغيين الذين لم يكن بمستطاعهم الوقوف عليها في لغته العربية.

وممن فكروا في هذا الموضوع وعزموا على ترجمة القرآن إلى الأمازيغية: الفقيه العلامة محمد بن محمد عبد الله السملالي، المتوفى عام (1122هـ)، وقبل القيام بذلك، استشار علامة عصره الحسن اليوسي، فاستحسن هذه المبادرة بشروط شرحها في جوابه على رسالة

---

(1)- إبن القطان، نظم الجمان، ص. 81، ط. محققة.

(2)- مجهول، الحلل الموشية، ص. 100، ط. محققة.

(3)- عبدالكريم التواتي، الفكر والثقافة في عهد الموحدين، مجلة دعوة الحق 231، ص. 34.

السملالي المذكور [4].

كما ترجموا من الحديث الشريف نصوصاً، ونقلوا معانيها إلى الأمازيغية يلتمسون فيها دلائل الاستدلال على سنية التصوف، انطلاقا من الأحاديث التي تدعو إلى الاشتغال بخويصة النفس، والرغبة عن الدنيا، مع إيجاد السند الشرعي للزهد، رَدّاً على الفقهاء والمحدثين المناهضين لمخاريق الصوفية الموصوفين بالخروج عن مهيع الكتاب والسنة، وللألغيين في هذا الباب عناية خاصة.

وقد تمت ترجمة الأحاديث الواردة في الكتب الستة، من طرف الفقيه احمد بن محمد البعقيلي في ست وخمسين صفحة خالية من تاريخ النسخ واسم الناسخ [5] ، وترجم أحد الألغيين الأربعين النووية[6] والأنوار السنية لابن جزي [7].

وفي مجال السيرة النبوية، حاز الإلغيون كذلك قصب السبق، لكبير عنايتهم بترجمة كتب السيرة، لمعرفة حياة الرسول وذكريات البعثة، وعهد الخلفاء الراشدين، منها ما هو بالنثر، ومنها ما هو بالشعر، حتى أصبح الرجال والنساء الذين لا يعرفون العربية، يعرفون تفاصيل تلك الحقبة من تاريخ الإسلام، وأصول السنة المطهرة القولية والفعلية والإقرارية، وكأنهم درسوها في المدارس العلمية، والمعاهد الدينية، والجامعة الإسلامية.

---

(4) – المعسول ج.5، ص. 52.
(5) – يوجد ضمن مجموع مخطوط بمكتبة كلية الآداب، الرباط، مجلة الكلية ع.7، ص. 271، 1980م.
(6) – سوس العالمة، ص.37.
(7) – أعمال الدورة الثالثة للجامعة الصيفية –أكادير– ص. 152.

وهكذا ترجموا:

نورااليقين: في سفرين [8]من طرف الفقيه عبد الله ابن على الألغي [9]. وكان لهذا الرجل ولع شديد بالسيرة النبوية شرحا وتصنيفاً وترجمة إلى الأمازيغية؛

شرح قصيدة البردة: [10] للشيخ العلامة اللغوي، عبد الله ابن سعيد التاݣضيشتي الحامدي [11]، استقرى فيها المضامين الدينية للأمازيغ الذين لا يعرفون العربية، لمعانيها البليغة، وحب صادق للرسول؛

قصة عكاشة مع الرسول [12]

قصة وفاة الرسول [13]

وفي مجال الفقه، بسطوا العبادات والمعاملات، اعتمادا على ترجمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني، ومختصر خليل، والشيخ الأمير المصري، وأمْعَنُوا في شرح (أكبيل) و(العمل السوسي) للجشتمي، ووضعوا عشرات الأراجيز والمنظومات في مختلف أبواب الفقه، لو جمعت هذه التآليف كلها على صعيد واحد، لتألف منها مجلدات من ذلك:

- نظم مختصر خليل، في تبسيط الفقه المالكي [14] في العبادات والمعاملات. وهو المشهور بـ (أكبيل) أو (أمازيغ)، للفقيه الصوفي محمد بن ابراهيم ابن علي الهوزالي (ت1162هـ)، صاحب البلاغة المؤثرة

(8) – سوس العالمة ص. 36؛ المعسول ج. 2ص.267.
(9) – المعسول ج. 2ص.267.
(10) – يوجد هذا الشرح بالخزانة العامة، الرباط تحت عدد (1098د): الموسوعة المغربية للأعلام البشرية ج. 4. ص.227.
(11) – خلال جزولة ج.4، ص. 52.
(12) – الألغيات ج.1، ص. 187.
(13) – المصدر نفسه.
(14) – المعسول ج. 19ص.14، طاقة ريحان ص76.

باللغتين، وخريج تامڭروت.

- له مؤلف آخر من التصوف أسماه: ***(بحر الدموع)***؛

- **ترجمة القسم الخاص بالعبادات** من مجموع الشيخ الأمير [15] للفقيه الصوفي الحاج علي الدرقاوي نثرا، وترجمه نظما ليسهل حفظه واستظهاره ممن لا يعرف العربية [16] لسهولة حفظ الكلام المنظوم؛

- **ترجمة الحكم العطائية** نظما لأصحابه، ينشدونها بعد الانتهاء من الذكر من كل صباح [17]؛

- **مؤلف في الفقه** للفقيه محمد بن مسعود المعدري (ت 1330هـ)، يتناول فيه مسائل فقهية [18]؛

- شرح لمؤلف **(أكبيل)** من طرف العالم الصوفي الشهير الحاج الحسن التاموديزتي (ت 1316هـ) [19]؛

- ترجمة وشرح أرجوزة الفقيه عبد الرحمن الجشتمي المشهورة بـ (العمل السوسي) [20] للتاموديزتي، السالف الذكر؛

- وله أيضا **مؤلفات أخرى** رد عليه في بعضها أحد المعاصرين له، منها: نظم على شكل أسئلة فقهية تشبه كثيراً أسئلة الهلالي السوسي للحميدي الفاسي [21]. وأجابه عليها الفقيه المحفوظ الأدوزي نظما بالأمازيغية.

(15) – المعسول ج. 15، ص.35.
(16) – المعسول ج. 19، ص.15.
(17) – المعسول ج. 1، ص.331.
(18)– المعسول ج. 13، ص.118.86.
(19) – خلال جزولة ج. 1ص. /82ج. 4، ص. 55؛ المعسول ج. 19ص. 15-14؛ طاقة ريحان ص. 76.
(20) – المعسول ج. 19، ص.
(21) – مجموع مخطوط، خزانة الإمام على تارودانت، رقم80م .

- **ترجمة المرشد المعين** لابن عاشر، من طرف ابراهيم أغْرُوسْ [22].

وفي مجال التصوف، ترجموا نصوصا من أحياء علوم الدين والحكم العطائية، ورياض الصالحين، وغيرها. ووضعوا منظومات في أخبار الآخرة وأحوال الجنة والنار، ومَحَبَّةِ الرسول، والصلاة عليه. وابتكروا أساليب ومناهج تلقين الطريقة وإقامة حلقات الذكر. ومما وضعوه في هذا المجال:

- **طريقة الشيخ محمد بن ويسعدن السكتاني** (ت 978هـ): وضعها تلميذه الشيخ الفقيه ابراهيم بن عبد الله الصنهاجي [23]، جمع فيه بين الفقه والتصوف واشتهر ب [الازناڭي] و[تازناڭت] وضعه بقصد تلقين طريقة شيخه في مجالس الذكر [24]؛

- **ترجمة رياض الصالحين** للإمام النووي، على يد الفقيه الصوفي عبد الله بن علي الألغي في أربعة مجلدات [25]؛

- منظومة في أخبار الآخرة وأحوال الجنة والنار لمجهول، وصف نفسه في خاتمتها بـ[أعَامِيْ ءُورْءِيسّنْ يَاتْ= عامي جاهل]؛

- منظومة الفقيه الصوفي الشهير محمد بن عبد الله البوشكري، [تـ 1272هـ] [26].

من المنظومات الواسعة الانتشار في سوس حفظا وإنشاداً، سهلا وجبلا. ولرجال الأسرة البوشكرية، مآثر مشهورة في الكتابة بالأمازيغية، مثلها مثل الأسرة الجشتمية والألغية وغيرها؛

(22) – أعمال الدورة الثالثة للجامعة الصيفية بأكادير.
(23) – المعسول ج. 19، ص. 15؛ طبقات الحضيكي ج.1، ص.121، ط. البيضاء.
(24) – له كذلك تأليف في الفرائض بالأمازيغية.
(25) –المعسول ج. 2ص.267؛ سوس العالمة ص.37.
(26) – المعسول ج.11، ص. 148.

• المنظومة الجشتيمية [27]: لابن العباس أحمد بن عبد الرحمن الجشتمي في بدع الصوفية في سوس [28]وفي الإيمان والإسلام والإحسان، وطهارة المرأة وأسس العبادات، وغير ذلك مما يتصل بقواعد الإسلام وأحكام العبادات والأخلاق، سواء بالنسبة للرجل أو المرأة، على حد سواء، مع مراعاة أفهام الناس ومداركهم؛

• أرجوزة في التنديد بالبدع في جبل درن: للشيخ الحسن بن أحمد التملي الايرازاني [تـ 1308ه]، وضعها على نحو نظم الهوزالي، ويبلغ عدد أبياتها أزيد من ألف وخمسمائة بيت [29]؛

• ترجمة مختصر إحياء علوم الدين نظما، للفقيه أبي بكر التاكموتي، من كبار علماء سوس في القرن [الثاني عشر الهجري] (30)؛

• منظومة سعيد الخابوش...؟ في التصوف الإسلامي، ويتردد أن هذه المنظومة للفقيه الصوفي محمد بن عبد الله الزڭموزي المشهور بـ [سيدي حمو الطالب]؛

• وللتڭموتي ترجمة مجموعة من [رسائل الإمام زروق] في موضوع مكائد إبليس وتلبيسه على العامة وأهل الأوراد...[31]؛

• و للتڭموتي كذلك، ترجمة قصيدة الشيخ خالد بن يحيا الڭرسيفي، في موضوع الإيمان بالله وأسباب تقويته في القلوب بالأعمال الصالحة، التي فيها طاعة الله وجزيل الثواب [32]؛

---

(27) – في حوزة الكاتب مجموعة منها هذه المنظومة تم انتساخ الجميع عام 1308هـ.
(28) – المعسول ج. 6، ص. 105.
(29) – المعسول ج. 19، ص. 56-57.
(30) – الحضيكيون ورقة 27/أ.
(31) – مناقب التغرغرتي، مخطوط خاص.
(32) – نفسه.

• نصوص في [إامارگ الصوفية] لعبد الرحمن التغرغرتي [33]؛

كما حاول بعضهم أن يترجم بعض المصطلحات ورموز القراءة التي يستعملونها في ضبط مفردات رسم القرآن والمتشابه منها.

أما في المجالات الدنيوية، فقد كانت عناية السوسيين إبداعا وترجمة باللغة الأمازيغية، متوجهة إلى تحقيق التوازن المعرفي للإنسان الأمازيغي، في شؤونه الدنيوية التي يتم بها قوام الدين والدنيا. فتناولوا مجالات الكسب والعمل لضمان العيش والحرص على أداء الفرائض والواجبات الدينية والمناسك والشعائر، إلى جانب العناية بصحة الأبدان التي تصح بها العبادة وتستقيم الحياة، وتدوين الأخبار للعظة والاعتبار، ووصف البلدان وخصائصها الطبيعية والبشرية، واللغة.

ففي مجال اللغة، وضعت قواميس أمازيغية لتسهيل عملية تحرير الوثائق على الطلبة الفقهاء المتصدرين للتوثيق في الجبال والسهول، تتضمن ترجمة الأماكن والأعلام الجغرافية والبشرية، وأعضاء جسم الإنسان والأسلحة والحيوانات والحشرات والنبات والأمراض، وتضاريس الأرض والجبال والأنهار والأشجار. ولم يغفلوا كل ما يحيط بالإنسان في بيئته.

ومنهم من وضع في قواعد النحو والصرف تآليف، وجمع قواعد الضمائر والإضافة والأسماء والأفعال وأسماء الإشارة، وتركيب الجمل، واستعمال بعض المصطلحات العلمية الأمازيغية المنسية للحروف والشكل والفعل والاسم. فتعددت المؤلفات، واختلفت لغاتها باختلاف القبائل والمناطق التي ينحدر منها المؤلف. كما اختلفوا في تبويب

---

(33) – المصدر نفسه.

مصنفاتهم وترتيبها، ويُعْرَف أغلب هذه المصنفات بـ [كشف الرموز] وهو بحق كشف للرموز اللغوية بالنسبة للمؤلف السوسي.

وتصدى، للكتابة في هذا المجال، فقهاء متضلعون في اللغتين العربية والأمازيغية، مجهولون بسبب البتر الواقع في النسخ التي لدينا. ومما أُلِّفَ في هذا الموضوع:
- مؤلف كشف الرموز في المعجم الأمازيغي لمجهول وينسب لأحدهم يسمى [أُوتونارت][34]؛

- **مجموع الأبق** لمجهول بسبب البتر في الطرفين [35].

وفي مجال التاريخ، ألفوا منظومات وأراجيز وملاحم عديدة تتناول مختلف الوقائع والأحداث الكبرى في تاريخ البلاد وطنيا وجهويا ومحليا، للتذكر والاعتبار، منها ما هو ضائع، ولم يبق منه إلا الاسم، ومنها ما لا يزال يتردد على ألسنة الرواة في الأسواق والساحات إلى عهد قريب.

كما تصدوا لتدوين المعارك والكوارث الطبيعية التي شهدتها سوس في مختلف الحقب التاريخية، ووصفوا البلاد وخصائصها الجغرافية والإنسانية في نصوص متفاوتة الأهمية شكلا ومضمونا، منها:

- **قصيدة فتح إفريقيا** [36] لمجهول؛

- **قصيدة خراب تامدولت** في القرن الثالث الهجري [37]؛

(34) - خلال جزولة ج. 3، ص. 164-165.
(35) - خلال جزولة ج.، ص. 15-16.
(36) - خلال جزولة ج. 3، ص.120.
(37) - خلال جزولة ج.4، ص.4-9.

- **قصائد الحروب القبلية والأحلاف السياسية،** كقصيدة الحروب الواقعة بين [تازروالت] و [آيت جرار] [38] وتنسب إلى الشاعر ابي يفيل الأب؛

- **الحركات المخزنية** إلى الجنوب؛

- **قصيدة الطالب صالح الأولوزي** [39]بأݣادير؛

- **قصيدة [يامنة منصور]** [40] ؛

- **قصيدة حركة الشيخ أحمد الهيبة** [41]؛

وفي المجال الجغرافي، وضع الفقيه ابرهيم بن محمد الماسي نزيل طنجة وصفا لماسة بالأمازيغية، استعرض فيه الخصائص والمميزات الطبيعية وتاريخ القبيلة. وانتهى منه عام 1834م، وتُرجم إلى الإنجليزية ثم إلى الفرنسية ثم إلى العربية. لخصه علامة سوس في رحلته الثانية [42]وهو الأثر الوحيد الذي نعرفه في هذا المجال حتى الآن.

وفي مجال الطب والصيدلة، ترجموا كتب السابقين، بل استفادوا منها الخبرة العلمية بالأعشاب وخصائصها، وشرحوا أسماء النباتات بالأمازيغية. وركبوا الوصفات العلاجية للأمراض والعلل والأسقام. ووصفوا في ما وضعوه من تآليف الأدوات والوسائل التي يستعين بها الطبيب المعالج في تشخيص الأدواء وتحضير الدواء. وممن ألفوا في هذا المجال:

---

(38) - دونها أحد الباحثين الأجانب.
(39) - لال جزولة ج.4، ص.85.
(40) - نصها جمعه ودونه أحد الأجانب الباحثين.
(41) - بها أحد النساخ على كتاب ممزق بخزانة الامام علي بتارودانت.
(42) - خلال جزولة ج.2، ص.227.

- **مختصر الطب الشوشاوي:** ترجمه الفقيه محمد بن أحمد الأوصالي، تَمَّ نسخه عام 1211هـ [43]؛

- **كشف الرموز في الطب:** لعبد العزيز الرسموكي، في مجلد ضخم، شرح فيه الأعشاب وخصائصها العلاجية، والأمراض وأدويتها مركبة ومفردة باللغة الأمازيغية [44]؛

- **مؤلف في الطب** للفقيه محمد بن ابراهيم الروداني، اختصره من عدة كتب، تم نسخه 1295م [45]؛

- **الأقوال الملفقة والفوائد المحققة** لمحمد بن عبد الرحمن التيليكاتي، من فقهاء القرن الثاني عشر الهجري ومن المعتنين بالكتابة والتأليف في الطب وغيره، بالأمازيغية والعربية. مزج في هذا الكتاب بين اللغتين ويذكر تفسير الأعشاب بالأمازيغية، وأسماء الأمراض والعلل [46]؛

- **مؤلف في الأعشاب وخصائصها:** مبتور الطرفين مجهول المؤلف، والناسخ وتاريخ النسخ. يقابل بين أسماء الأعشاب والنباتات بالعربية والأمازيغية، بقى منه ثلاثون صفحة [47]؛

- **مؤلف الجشتمي في الطب والأعشاب** [48]من تأليف أبي زيد الجشتمي، جمع فيه لائحة طويلة للأعشاب الطبية بالعربية والأمازيغية. وطبائعها وخصائصها الطبية، يعتمد على ملاحظاته وتجاربه في ممارسة العلاج، مستفيداً من كتب السابقين، ناقلا عن الأنطاكي والزهراوي والشعراني؛

---

(43) – مجلة كلية الآداب، الرباط، ع.7، سنة 1980م، ص.231.
(44) – خلال جزولة ج. 4، ص.18، حجي، الحركة العلمية ج.1، ص. 161.
(45) – مجلة البحث العلمي ع.6، السنة الثانية ص.26، عام 1965م.
(46) – توجد نسخة منه بيد الكاتب مصورة عن نسخة خزانة تالكجونت.
(47) – مجلة كلية الآداب، ع. 7، ص. 239 سنة 1980.
(48) – جد ضمن مخطوط، تحت رقم [80 م] خزانة الإمام على تارودانت.

- **مؤلف في الطب** للحاج علي الدرقاوي، وضعه بالأمازيغية وبالعربية ليستعين به أصحابه ومريدوه العرب والأمازيغ. ذكر ذلك ابنه علامة سوس وقال: أنه تَامٌّ غير ناقص[49]؛

- **منظومة في شرح أسماء الأعشاب** العربية بالأمازيغية لمجهول [50]؛

وفي علم الفلك، كانت للفقهاء السوسيين عناية فائقة بالزمن والعمل النافع دينا ودنيا، تحقيقا للشرع ومقاصد الشريعة في وظيفة العلم في الحياة الدينية والدنيوية للمسلم.

ولذلك كان لهم اهتمام بالفلك والتوقيت لضبط مواقيت العبادات من صلاة، وزكاة، وصوم، وحج، وأسباب المعاش؛ فترجموا منظومة [**المقنع**] للميرغتي ومؤلف ***الجراد البستيلي*** على يد الفقيه الحسن بن عبد الله بن أبي بكر [51]، تم نسخ الترجمة عام 1267هـ على يد محمد بن محمد من أبناء الشيخ محمد بن يعقوب الصنهاجي [52].

وترجموا **قواعد علم الزراعة والتربة والمياه:** وقفت على منظومة في هذا الموضوع مبتورة في إحدى الخزانات. ينقل فيها صاحبها المجهول عن أبي الخير الأندلسي والتغرغرتي الهوزالي [53].

وفي مجال المستقبليات، نظم الشاعر الأمازيغي الفقيه عبد الرحمن بن مسعود المتوكي في القرن الحادي عشر الهجري منظومته المشهورة في هذا الباب، تداولها الناس في عهده وبعد عصره. وقد

---

(49) – سوس العالمة ص.53.
(50) – ضمن الأوراق الأولى للمجلد الثاني لحاشية الشيخ الصعيدي العدوي تحت [500 ك]، خزانة الإمام على تارودانت.
(51) – خلال جزولة ج. 3ص.120.
(52) – المعسول ج. 16.
(53) – وقفت عليها في الخزانة الهمانية بتاسوس.

اعتبره الضعيف الرباطي بمثابة عبد الرحمن المجذوب بالنسبة للسوسيين [54].

تنبأ، في هذه المنظومة، بالتطورات التاريخية المتلاحقة منتصف القرن الحادي عشر الهجري، على إثر أفول نجم السعديين، وتبلغ أزيد من [200]بيت، ولها نسخ عديدة في خزائن سوس باللغتين [55].

---

(54) - تاريخ الضعيف الرباطي، ص. 89، ط. محققة.

(55) - خلال جزولة ج. 4، ص. 195، نقلا عن الضعيف.

خاتمة

وفي الختام، أشير إلى أن ما ورد ذكره من أسماء المخطوطات نثراً وشعراً، منها ما هو معروف وموجود اسماً وموضوعا، ولكنه لا يزال في غيابات الأضابير وأركان الخزانات الخاصة والعامة، مطروحا في زوايا الإهمال والنسيان. وهو في حاجة إلى من يخرجه وينفض غبار السنين عنه، والتعريف به والاستفادة منه في مختلف الأبحاث.

وما تَمَّ عرضه في هذه العجالة، ليس هو كل شيء، بل هناك مجالات أخرى. كَثِيرٌ مِمَّا أُلِّفَ فيها ما يزال مَجْهُولَ الاسم والموضوع والمؤلف، لأن عناية أرباب القلم والكتاب والمكنشين السوسيين لم تترك مجالا إلا وألَّفوا فيه بلغتهم الأصلية، وترجموا إليها كل ما يرونه جديراً بالمعرفة والإطلاع، في ظروف وبيئات تاريخية واجتماعية واقتصادية مختلفة، فمن الإنصاف أن نعتبرهم اليوم من الجنود المجهولين والمناضلين الحقيقيين الذين قاموا بما قاموا به، لضمان السيرورة المعرفية في المجتمع عبر الأجيال.

ومن جهة أخرى، يعتبر هذا التراث الأمازيغي، المعروف اليوم، والمجهول منجما للغة وقواعدها، وأساليبها البلاغية، ومنبعا فياضا للمصطلح العلمي والفني والأدبي، مما يفتقده الكتاب والشعراء والباحثون في التراث الأمازيغي.

قــراءة وتحــليل لمــخطوط أمــازيغــي في وصــف الجــنــة: أهــميته وخــصوصــياتــه

الأستاذ جهادي الحسين

باحث، الدارالبيضاء

هناك عدة عوامل فرضت على الأمة الأمازيغية أن تجعل النظم بلغتها خزانة للحفظ، تتنقل من جيل إلى جيل، وبفضل النظم الشائع بين طبقات الأمة، كل في ميدانه. فالعلماء يترجمون ما عرفوه، والشعراء يلخصون ما فهموه، ليلقنوه للحضور في المناسبات، وأمدياز (الشاعر المتجول) يبلغه في تنقلاته من قبيلة إلى أخرى. وأهل الغناء في الحلقات (آيت ؤمارگ) يحببونه لعامة الناس ويحفظون لهم ما يدور في المجتمع.

وهكذا، في قصص الأطفال من طرف الأمهات والجدات، وأصحاب الحلقات والموعظة الحسنة. ولولا ذلك لضاع الكل، ولكن الله سلم. وبراعة الأمازيغيين في النظم، لا يحتاج إلى دليل، فقد نبغوا في النظم بلغات أخرى، ومن ينكر ألفية ابن معطي الأمازيغي وصاحب الزواوي، وناظم الجمل والمبنيات بالعربي، أما باللغة الأمازيغية فذلك ديذانهم، في كل الميادين: كالتوحيد، والميراث، والحساب، والفقه، والحديث، والصوفية ومن ذلك مساهمتي المتواضعة في موضوع المخطوط الأمازيغي...

قال ابن خلدون: «العلم ذهب به العجم، والأمازيغيون قسم من العجم» بشهادة ابن خلدون نفسه، فإذا ذهب الفرس بالأسبقية في تقعيد اللغة العربية، فإن الأمازيغ قد والله شاركوهم في القواعد المنظومة كما شاركوا الفقهاء في الترجمة والتبليغ بلغة الوطن.

فهل علم التصوف كذلك ذهب به العجم؟ أجابوا عن ذلك بقولهم:
- إن العقلية العربية لا يمكن أن ينمو فيها التصوف، ولا أن تفكر فيه- وإنما هو "ثورة العقل الآري على الدين السامي الفاتح". ورغم ما في هذا القول من التنافر نتيجة الفتح، فيحق لنا أن نتساءل أيضا: هل ظهور التصوف في الغرب الإسلامي لنفس النتيجة؟ أم لأسباب أخرى؟ نكتفي هنا بالتساؤل. لكن من استقرأ التاريخ سيلاحظ ولاشك، أن الفكر الصوفي يبرز دائما عند بداية انحطاط الدولة، فظهور التصوف بمثابة بداية الخلل. والتاريخ يسجل ولا يخجل، ويكتب ولا يُغفل، بل لا يرحم أحدا فكيف به أن يهمل...

موضوع المداخلة:

موضوع مداخلتي يدخل في باب التصوف تبعا للمخطوط، وليس تبعا للظروف.

تقديم المخطوط:

أثناء بحثي، عثرت صدفة على هذا المخطوط، وهو عبارة عن منظومة مبتورة في الأول والأخير، ورقها من النوع القديم الجيد، ومعتنى به. **لاحظ نموذجا مصاحبا من نسخة الأصل** والمنظومة مشكولة بحركات مناسبة لقراءة النظم.

عدد الصفحات 16رغم قدمها كلها سليمة مقروءة، تتناول

الصوفية، وخاصة وصف الجنة بالتفصيل، وعدد أبياتها 155شطراً أو بيتا حسب الوضع عند الأمازيغ.

قمت بإعادة كتابتها، وبفصل الحروف عن الإسم وعن الفعل، لفهم كل كلمة على حدة. بالإضافة إلى عزل حروف المعاني، وحروف التقريب والتبعيد، التي هي من خصوصية اللغة الأمازيغية، كما فرقت بين المضاف والمضاف إليه، وكذلك حروف الإضافة...

قمت بترقيم المنظومة ليسهل الرجوع إلى البيت عند الحاجة. قمت باستخراج الآيات الكريمة حسب ترتيب المنظومة، وليس حسب ترتيب السور في المصحف الكريم.

فإذا فهمنا أن الناظم قد خصص هذا الباب لوصف الجنة باللغة الأمازيغية، فيمكن أن نفهم من سياق النظم، أن ما بتر منها في البداية يدل على اشتياق من المخاطب إلى الجنة، لذلك لم يكد يسمع ذكر الجنة حتى استراح من أهوال ما عاناه من السؤال والحساب والميزان والصراط... أما ما كان مبتورا في نهاية النظم، فنفهم من سياق النظم كذلك أنه قليل، ما دامت رؤية الله في الجنة قد تحققت ولم يبق إلا استمرار العباد في النعيم.

ومن عادة المؤلفين في هذا الفن، أن يستعرضوا جميع مراحل الإنسان، كالحياة والموت، والسؤال، والحساب، والصراط، والنار وأهوال يوم القيامة، وبعد ذلك يختمون بأفضل الأبواب وهو الجنة، حيث الجزاء الأوفى...

تاريخ المخطوط وموضوعه:

ما هو تاريخ هذا المخطوط؟ وكيف يمكن الحصول على ذلك؟ ليس هناك سبيل يقيني إلا ما يمكن استنباطه مما لدينا من بقايا هذه المنظومة لكن بكل تحفظ.

• تصنف هذه المنظومة في علم الكلام، ومن المتكلمين المغاربة المهدي بن تومارت في هذا الباب، ونضع هنا أول علامة استفهام؟. لأن المهدي لم يهمل هذا الفن الصوفي، ولا نستبعد أن تكون المنظومة المعروفة عند السوسيين في تفسير صفات الله تعالى من عبقرية المهدي، ونورد هنا تفسيرا لصفة واحدة من صفات الله تعالى بالأمازيغية وهي البصير (أمانّاي):

مايڭان يڭا لباصير ❖ *يسّفاو اديف غ وضار*

نم اتوطوفت ولا ❖ *وي نـ وابيبا غ تيلاس*

نسفاو يميك نـ كرا ❖ *يدروس نيت ارد زّوون*

يڭزّ نيت اكال وي سًّا ❖ *نغ يغلي د وي سّا يڭنّوان*

يژري نـ ربّي ؤر يرَوا ❖ *سّ يژري نـ لموحداثين*

أت ينرو وكلولو ❖ *نغ اژنژار د ريح*

نغ ت يرو ونتال ان ❖ *نغ اس ياڭوك غا يان*

ياڭوك نـ لمخلوقات ❖ *ربي ؤر يڭي د غيكان*

تعريب معنى هذه الأبيات:

لأنه يبصر المخ في رجل	❖	*ما معنى الله بصير*
رجل البعوض في الظلمات	❖	*النملة وكذلك في*
شيء مهما صغر و نذر	❖	*يبصر أقل قليل أي*
أو صعد إلى السماء السابعة	❖	*سواء نزل إلى الأرض السابعة*
لكي يرتد وهو حسير	❖	*بصر الله لا يشبه بصر المخلوقات*
أو يحسبه ذلك الحائل	❖	*أو يغلبه الشعاع والريح*
بعيد عن مخلوقاته وليس كذلك	❖	*أو يبعد عنه ذلك الشيء*

وفي صفة الكلام نجد هذه الترجمة البليغة بالأمازيغية:

أوال نـ ربّي ؤريڭي لحورروف ؤلايكًا صّاوت

كرايات تاسڭا أر اس ڭيس يسفلاد ياني

أر يسفلاد نتّا سـ لجواريح ور ڭينين

وي لماخلوقات خَصّان سـ وسفلد نـ تمزڭيني

ترجمة معاني هذه الصفة قدر المستطاع:

كلام الله ليس بصوت ولا حرف

يسمعه كل واحد في جميع الجهات

والله يسمع كذلك لكن ليس بالجوارح

التي تسمع بها مخلوقاته المخصوصة بالآذان

ذكر الناظم السكر في هذه المنظومة، ونفهم من ذلك أن قيمة السكر في عهد الناظم، ربما كان أعز لندرته من العسل، وتاريخ السكر في المغرب معروف منذ عهد المرابطين إلى عهد السعديين. فهل تاريخ المنظومة قديم بقدم عزة السكر في المغرب؟ وإلا لماذا فضله الناظم في حلاوة الجنة على العسل؟ ألكثرة هذا الأخير؟ كل ذلك ممكن، ما لم نعثر على الدليل القاطع.

وهناك أيضا الخط الذي كتبت به المنظومة، فهو خط أمازيغي، وكذلك الورق الذي كتبت عليه المنظومة، من النوع القديم نسبياً، لكن كل ذلك لا يثبت العلاقة المباشرة بالناظم نفسه. وإن كان الاعتناء بذلك الخط، وذلك الشكل، والإطار المزدوج المحيط بالكتابة، يذكرنا بعناية المغاربة بدليل الخيرات ؟

ومما يدل على قدم هذه المنظومة: أن صاحبها انفرد بوصف للجنة وللرسول بأوصاف لم أجدها في فقه أوزال، ولا في بحر الدموع، ولا في ترجمة كل من المدني الحاحي ولا عند أعروس، ولا عند أبو شكر، ولا عند الدرقاوي.

فهل كان هؤلاء بعده ؟ ولماذا لم ينهجوا منهجه؟ أو كان بعدهم؟ ولماذا لم يستفد من مصطلحاتهم؟ هذا بالنسبة لما هو متعارف في عالم الزوايا في المغرب، منذ بداية السعديين.

كما لا نجد ما كان يروج من مصطلحات في الشرق الإسلامي مبكراً وكمثال، ما لخصه **أبو طالب المكي** المتوفى سنة 376 هـ إذ يقول: «وأما العارفون فإنهم لم يوقتوا الأوراد، ولم يقسموا الأوقات، فتوحيدهم في مزيد، ويقينهم في تجديد، بغير تغيير ولا ترصيد، ولا إيقاف ولا تحديد..» وصاحب المنظومة بعيد عن هذا التأثير الشرقي.

وفي طبقات الصوفية للسلمي المولود سنة 325هـ نجد: " من جلس صاحب بدعة، لم يعط الحكمة" أما إذا توغلنا في بداية الصوفية عند النقري في رؤية الله، وكذلك عند ابن عربي، فسنجد صاحب المنظومة يمثل الخصوصية المغربية، انطلاقا من القرآن فقط ومن الحديث القدسي، بحيث يكاد يستغني بهذين المصدرين عن الباقي، فمثلا لم نجد فيما بقي لنا من هذه المنظومة، ولو مرة واحدة مصطلح الحقيقة الحمدية، ولا سر الحقيقة، ولا الحكمة المسكوت عنها، ولا ذكر اسم شيخ الطريقة، وأنا لا أنكر ما للقوم من مصطلحات كما قيل:

إن للقوم اصطلاحا مثل ما ❖ لكم أيضا يا جميع العلماء

خلو المخطوط من مصطلحات الصوفيين:

• وهذا يدل على أن العقل هو شيخ الناظم في زمنه. وهذا يرجح أن المنظومة كانت إما قديمة، وإما أن ناظمها كان منعزلا في زاوية بعيدا عن أي مصدر ما عدا القرآن والحديث القدسي، حتى إن بعض الأبيات عبارة عن ترجمة معاني آيات من القرآن الكريم.

إعتماد الناظم على معاني الآيات الدالة على الجنة ونعائمها:

إذ نجد مثلا البيت الأول من المنظومة يشير إلى الآية رقم (43) من سورة الأعراف: "ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها"، بينما تشير الأبيات في المنظومة من (2 إلى 8) إلى قوله تعالى في سورة محمد، الآية (15) : ﴿**مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن، وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى**﴾ وفي سورة عبس نجد كلا من معاني هذه الآيات: ﴿**فأنبتنا فيها حباً** (27) **وعنباً وقضبا** (28) **وزيتونا ونخلا** (29) **وحدائق غلباً** (30) **وفاكهة وأبا** (31) **متاعاً لكم ولأنعامكم**﴾ (32)، كل هذه المعاني قد لخصها صاحب

المنظومة في البيتين (10+11). وفي البيت الإثنى عشر، أشار إلى الكوثر المشهور بنهر في الجنة، وفي الأبيات من الثالثة عشر إلى السادسة عشر، يفسر مجموعة من الآيات الدالة على نعائم الجنة منها: في سورة الواقعة ﴿**على سرر موضونة** (15) **متكئين عليها متقابلين** (16) **وفاكهة مما يتخيرون** (20) **ولحم طير مما يشتهون**﴾(21)، وفي سورة الأحقاف نجد الآية (19): ﴿**ولكل درجات مما عملوا**﴾ فسرها الناظم في البيتين رقم (17+18) ونجد في سورة الواقعة الآيات الآتية: ﴿**إنا أنشأناهن إنشاء** (35) **فجعلناهن أبكارا** (36) **عربا أترابا لأصحاب اليمين**﴾ (37)، قد أجمل صاحب المنظومة معناها في البيتين الخامسة والعشرين والسادسة والعشرين، وهكذا في الباقي.

* ويشير البيت الثالث عشر إلى "المن والسلوى" ويفسره بالطيور المطهية، كما يضيف شواء الخرفان...

• ومن بلاغة الناظم، المقارنة بين سكان الجنة العليا، وسكان الجنة السفلى. فوصف الأعلون بحمام الجنات، بينما وصف الأسفلين منهم بدجاج الجنة. وذلك في البيتين رقم: (37+38).

• نص الناظم على أن رؤية الله في النهاية ثابتة، أخذا بقول أهل السنة «**للذين أحسنوا الحسنى وزياد**» وفسروا هذه الزيادة بالنظر في وجه الله الكريم، ولم يكن من تابعي الزمخشري الذين قالوا بأن كلمة **(لن)** في قوله تعالى: ﴿**لن تراني**﴾ للتأبيد، **لكن ابن عربي** مثلا أدخل الرؤية والمشاهدة إلى عدة مستويات، وصاحب المنظومة أخذ بالحديث «**سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر**» فابن عربي كذلك، فهم أن الصفات عين الذات، وكل اسم يصح على اسمه تعالى، وتبعه في ذلك الشيخ علي الدرقاوي، في ترجمته لحكم ابن عطاء الله، الذي جمع في

كلمة الله جميع المعاني، بينما يورد صاحب هذه المنظومة أسماء الله بمعان مستقلة كما عند الأشاعرة وكما هو مذهب المغاربة.

خصوصيات هذا المخطوط:

ومن بعض خصوصيات هذا النص، ما يأتي:

- انفرد بقوله، وبأسلوب منطقي: إن دخول الجنة ليس معناه الخلود فيها ما لم يثبت النظر في وجه الله الكريم. واستدل على ذلك بوجود آدم في الجنة، ومع ذلك خرج منها، لأنه لم ير بعد الله الكريم؛

- انفرد كذلك بقوله: إن عدد الجنان سبع كما خلق الله سبع سماوات ومن الأرض مثلهن؛

- انفرد بأن جبريل لم يعلم بوجود الجنة الثامنة، وبعد أن طاف في الكون ولم يجدها، طلب من الله أن يدله على الطريق إليها، لأن الله أمره أن يأتي بها مسرعا لأحباء الله ليزداد فرحهم؛

- كما أن الملك الموكل على الجنة الثامنة واسمه قايطوس لم يسمع بجبريل ولا برضوان ولا سمع أبدا بخبر الجنان، ولا بوجود الدنيا وما فيها، ولا بوجود الموت، وتوابعه؛

- وأن جبريل مهما طار في الكون، فإنه لن يصل إلى الجنة الثامنة، بعدما طار خمسين ألف عام، ثم خمسين ألف عام مرة أخرى، لذلك طلب من الله أن يقربها إليه، وبأمر من الله، انطلقت الجنة الثامنة فالتقت مع جبريل في الطريق بعدما قطعت هي في الكون أكثر من المسافة التي قطعها جبريل. كل هذا في نظر الناظم تفسير قوله تعالى: **﴿وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين...﴾**

توضيح لبعض الأسماء المقدسة الواردة في المخطوط منها:

- **البـراق:** دابة يركبـهـا الأنبيـاء، وقـيل فـرس جبـريل، وقـيل الدابة التي ركبها الرسول ﷺ ليلة الإسراء.

- **الكوثر:** قال الرسول ﷺ: «**نهر أعطانيه ربي في الجنة**».

- **الحريات** إشارة إلى قوله تعالى: «**حور عين كأنهن بيض مكنون**».

- **طوبي: واد في الجنة (الحديث).**

- **القدوس:** الله تعالى ﴿**هو الله الذي لاإله إلا هو الملك القدوس**﴾.

- **جبريل:** من المـلائكة المقـربين «**قل من كان عـدوا لجبـريل، فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين**».

- **قايطوس:** الملك الموكل على الجنة الثامنة (المنظومة).

- **رضوان:** اسم الملك الذي وكله الله على جميع أبواب الجنان السبع.

- **أرقاس:** المقصود به هنا هو جبريل المرسول بدون تبليغ كالنبي.

أهمية المخطوط المعجمية:

هناك أهمية من حيث المفردات اللغوية، ومن حيث التركيب، ومن حـيث الوزن في النظم، ومن حـيث الكلمـات الأمـازيغـيـة التي لم نعـد نصادفها إلا في بعض هذه المخطوطات، مثال ذلك:

- **نفـولس** س ربّي: آمن بالله أو بمـبـدأ من المـبـادئ. وهـي نادرة الاستعمال لدى المحدثين حتى في علم التصوف. ولم أعثر عليها إلا في هذه المنظومات، لكن مازالت مشاعة في دولة مالي.

- كلمة **ثميل:** تعني يمكن من الكلمات المفقودة في التداول.

• ثم كلمة **أزورفي**: الجوهر، إذ لم تعد متداولة.

• وكذلك كلمة **ثفض**: تعني عدد ألف، ونفس الشئ في كلمة **تيميضي**: عدد مائة. أما كلمة **ألكوز**: بمعنى محفظة، أو خزانة كل نفيس، فقد انفرد بها هذا المخطوط. كما انفرد باسم الملك **قايطوس**. وكذلك أنلي: العقل...

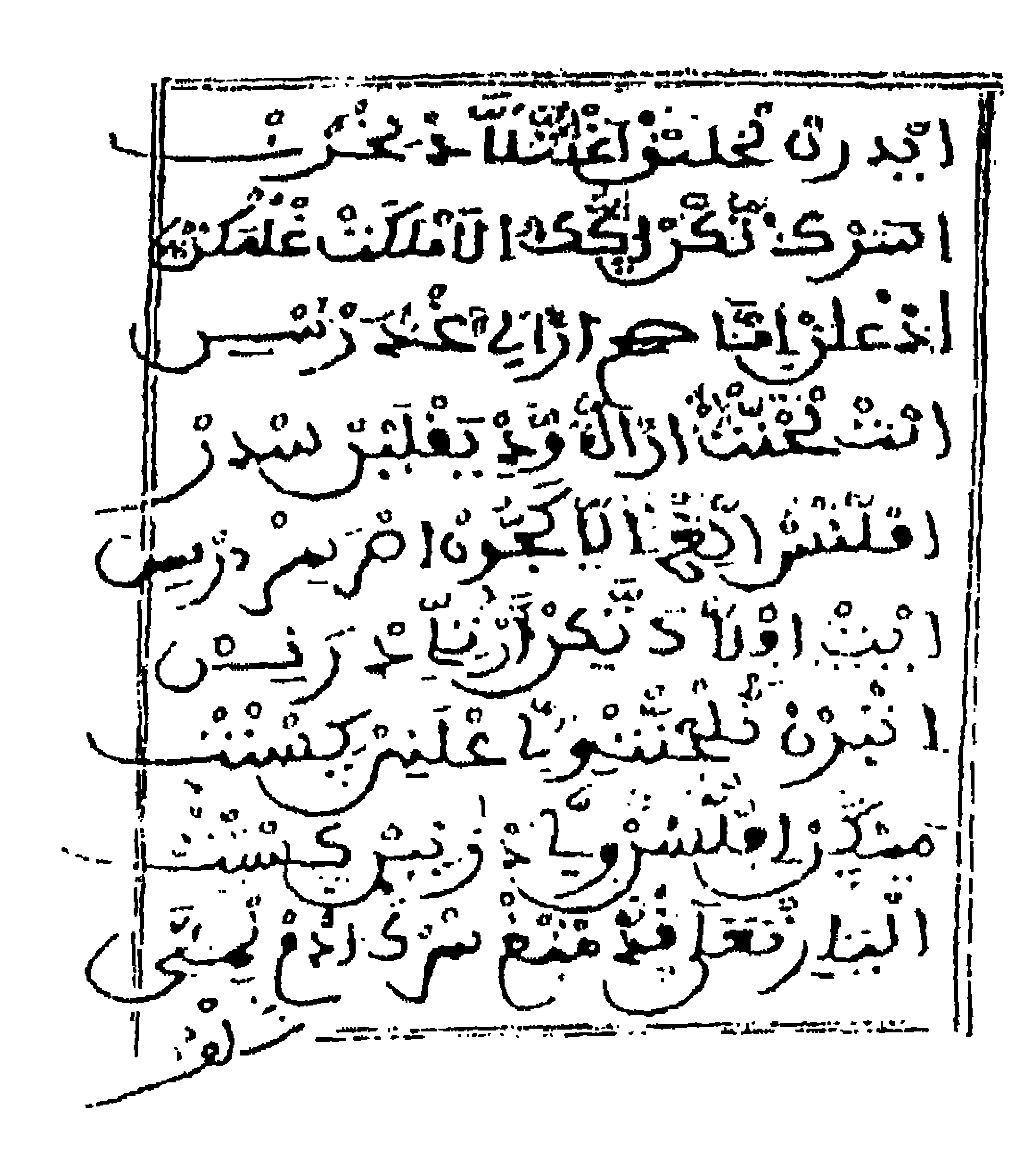
الخلاصة:

رغم البتر الذي طال هذه المنظومة، فإنها غنية ومستوعبة لأوصاف الجنة الواردة في القرآن.

* تمتاز هذه المنظومة بوحدة الموضوع وهذا نادر في هذا الباب.

* ولأول مرة، عثرت على التركيز على الجانب المشوق في العالم الآخر، دون إيراد الأهوال التي تنتظر الميت، مما جعل هذا المخطوط مبشرا وليس منفرا، وهذا ما يناسب عصرنا والسلام.

نموذج من نسخة المخطوط الأصلي



منظومة أمازيغية في وصف الجنة:

.../... مبتورة في البداية والنهاية مجهولة المؤلف والتاريخ

1 - ئسمعن ئ لجنّات ئهنُّو ور تالاّن كخيس نت

2 - أسلال ن تامّنت اسيف اتّ بيِوين كخيس نت

3 - نتابعات ينّ واسيف ن وُودي محادان كخيس نت

4 - ئسم نّس طوبا كويان يژرا لاخبار نس

5 - ئنكخي واسيف ن وامان يفاو زوند تالمريت

6 - ئشرك تيملّي د وتفل يشرك اضود لمسك

7 - ن توطفي سّكّار ادّ تمشرّاكن يدّاد غ لحوض

8 - ن بولبوراق وانّا يزكخرن صْرات اكخيس يسّان

9 - ئغ كيس شْوان يكشم ئ لاقصور لجنّات

10 - لغرس وّاضيل تّازارت ولا جميع مّاس

11 - ئتيِّونْسّيب يس يمّيم يمحاداد فلاس

12 - لكاوْثار اس يتيِّوسْمّا يسم نس يشهرنيت

13 - لاطيار جّانين يزامّارن ولا جميع ن ما

14 - س يتّيِو نسّب يس يگ لحم يطييبن يترسي

15 - كولشي ييلي ف لعنبر لّي يكخان اكال نس

16 - ورد اكال اد اسول يادّا يز كخيس نت

17 - ائت لجنّات ور نكخادّان كولّو زكخيس نت

18 – يات ف يڭي ئ يات ايلان ار سات ائْڭا واوال؟

19 – لميثل اد ازغ يخلق ربّي يكالّن ولا يـڭنْوان

20 – تاف تالّي تالّي ن يزدار نس غمكانّ

21 – اد ڭان لقصور لاّنين كولّو زڭيس نت

22 – لماژلوض لّي مو ڭيس نت يدروس وايْدا ن سني

23 – اميقدار ن دّونيت مراو لامثال ار ڭيس تّا

24 – سين حوزن ت ور يمل اسول كيس يزري يان

25 – ار ڭيس تّيلين مراو وّافضان لبوكارت

26 – لحرارت لحورييّات لجنّت س نّيكاح

27 – ار ڭيس تّربّون مراو وّافضان ن بن سْرحان

28 – لجْواد ن يّيسان لجنّات ئ يْڭومّا زغ نّقرت

29 – سـّرج لْياقوت رّكوب كولّو زغ وژرفي

30 – لحرير لموبّر ما سّول يتّحاسابن يس يلاّ

31 – أيْداران لخالائق اغنّ يلا د ليخرت

32 – ئس اكا تّڭّان وڭوگ ئ لاملاكات غ لماكان

33 – اد غ لاّن ئمّا صاحا ور يلّي غ دار سني

34 – أيت لجنّات ور يلّي وّاد ياقلأين س دار

35 – وفلاّ نس يلّيغ يلاّ كا جّون يژرا يزدار نسي

36 – أيْت وفلا د اتّاكين ار تيلّي درانين

37 – ئتبيرن ن لجنّات ويلّي علانين ڭيس نت

38 – مايْڭان يفولّوسن ويلّي درانين ڭيس نت

39 – ألْباري تعالا قدّمغ نّ سرك ودم ن مِيـيّا

40 – ن الف وربعا وعاشّرين ألْف لاّ نبيِيّا

41 – د لمورسالين ولا لكوتوب نك لّيد فلاّس

42 – ڭوزنين اد ور يليغ غ يزدار لّجنات

43 – ألباري تعالا قدّمغ نّ يقريّن سرك

44 – ؤلا لحاديث ولا لملوك انّ يقريّن سرك

45 – أد رارغ اوّوتّو دو حبيب نك لّي يِي يڭان اشافيع

46 – مُحَمّدْ ازكـّا غ لقصور لجنّات

47 – ئغ كولّو تمّا لاهْوَال آيّت لجنّت هنّان

48 – ئنّا اسن ربِّي ما سول ترام اصحاب ولجنَّات

49 – ئس ور ترضام ما ترام غ لقلوب نُّون

50 – الحمد لله نرضا بلا ننّا ياك ت اكّ

51 – لخير أيِّوين رّضا ف وُودم نسني

52 – ئرخا اسول يخاصًّا غ لجنّات ناوِي رّجا سرس

53 – أبلا اتّاسيت لحيجاب انزّر ودم نُّون

54 – يُوف كولُّو نَّاظار غ ودم نك اواحد ور يلين

55 – أشريك لجنّت ولا غايّد يلان ڭيس نت

56 – يا ور تاڭيس يناظرن ور اس يثبيت يس يلا

57 – غ لماكان اد مقّار يكشم لقصور لجنّات

58 – أشكو نژرا بابا تنغ ءاداما لّيغ ڭيس نت يلا

59 – ور اكّ يغال يس يرا اسول د يفّاغ ڭيس نت

60 – أر ت يكوند وملعون ايليغ ت يضي زغ ڭيس نت

61 – س لعداوْت د لقاضا لّي ي اس تارات غ لّوح

62 – ئمّا متادّ ور– ور ارّا نك ما داس يسّوڭر وملعون

63 – ئغ ت يعادا ماس يكّات وعمود ابلا يافوس

64 – ن يان ت يعادان لخالائق اعمود اد ڭان، افوس

65 – نك اغ لأّن لفيعل ور ئيلّي بلا ئ كِيِيّن

66 – يصحا واوال القوم يناسن د نكّين

67 – لحوكم ينو ڭان لحاقّ ور يتّعقاب كويان

68 – اد اراغ نمحو نارا اينّا كا ريغ يگ لحاقّ

69 – ياسي يلمّا د لباري تعالا ف ودم نسني

70 – ئزر كويّان ربِّي ت يخلقن يجي غ واطّان ن

71 – تاوديوين ن سيوال ولا لحساب د لموت

72 – ؤلا صّراط د لميزان ولا لّيغ ياد يزرا نّار

73 – يزرا كويان ربّي س لميقدار ند غمكلّي

74 – نسلا غ يڭي ن دّونيت كا س ت يمزالال

75 – ألباري تعالا قدّمغ نّ سرك ودم ن قايْطوس

76 – أنگ يمڭيسي ن لجنت انّ دارك افيغ لامين

77 – حوضرات ولقودس اس يتّيوسْما يغ يلاّ

78 – وانّا يران اسرس يتّدعو توف ماس يدّعو يان

79 – أشكو نتّات اسنّ اكّ يڭرا واحّد ور يلين

80 – أشريك ياسي يِيسّ لا نبِييّا د وِيلّي كولّو يحوبّا

81 – غ لجنت يزايّد است نّ غ لفرح

82 – لآنوار نس اد كولّو جلّون لانوار لجنت

83 – ن ريضْوان لميثال ن تافوكت نتّات د وايّور

84 – حوضرات القودس ڭوتن لاخبار ان ڭيس نت

85 – ئفض لكتاب ور يمل ادّ ڭيس نت جمّلن

86 – لاخبار ن ما ڭيس يڭا ماْولانا غ لوصول

87 – ؤلا لفوصول يلاّن غ ڭر لاقصور انّ ڭيس نت

88 – يُودا ك لّيغ يدا جيبريل يڭا ارقاس

89 – لّباري تعالا ئني ي اس حورّود سرس نت

90 – ئ لاحباب ينو اد اس تّن يزايْد غ لفرح

91 – يصحا واوال يس يدّا جيبريل ار ڭيس نت

92 – ئساقّسا غ لجنّت يكّ تنت كولّو يعدم تنت

93 – ئستارا كولّو لحوال لكورسي د لعرشي

94 – ؤر تنت وفين ئنّا ي لس أيْلاهي تڭيت

95 – لعاليم ڭيغ لموتاعالّيم ور داري بلا اينّا

96 – ياخ تعلّمت ايّي تمليم لقصور لّجنّت

97 – لّي س اخ تنّيت اهايّي ستاراخ كولّو لجنّات

98 – نستارا كولّو لاحوال لكورسي د لعرشي

99 – ور تنت وفيغ اسيدي نوحل وكان ڭيس نت

100 – ئزايْد اخ ار يڭي وّاسيف انّ د- يدّان غ لعرش

101 – لكاوّثار اس يتّيوْسّان منيد غ لايْمان نّك

102 – ئس تريت اتّانّيت كّوژث لعالامات ڭيس نت

103 – أر داغ يتّازّال ار يڭي وّا سيف غيكلّي

104 – س اس ثنّا ار يتّمناد ار يتضالاب والّيت

105 – يخلقن أيْرخو ماف لاس يتّياران غ لّوح

106 – يمنيد غ لومت نس ار يتّشيّار ڭيس نّور

107 – س لجنّت لّي سول يغلبن وسمان ودم ئ يّيض

108 – جيبريل ار يثّازّال يغال نيت يسد اژنت

109 – ئفرح سرسن ور يسّين ما يّوت ايْليغ ياد زريني

110 – تاوادا ن خمسين الفُ وعام ور يلكيم ايْدا ران

111 – يڭليد تّاوادا ئ تْوادا ايْداغ يزري خمسين

112 – الفُ وعام ياضنين ئ هاتي تلكمت تيد فرحن هاتي

113 – وُڭار ن آيْلّي ن يُوت سرس ادّي توت ايْداغ

114 – نماڭارن يحمد ئ مولانا لّي ي اس يسمدن اوْلي

115 – سايْدنا قايْطوس لملك يفولكين ايْگ

116 – يعظم باهرا ينشات لباري تعالا مكدا ران

117 – قايْطوس يرڭل يمي ن لباب يگ تيسورا

118 – غ ولكوژ بِيلي ف لكورسي ضوفن يمي لجنّات

119 – جيبريل د قايْطوس نماڭارن افوس غ وفوس

120 – سْلام عليكم الاّ عاوْن اسايْدنا قايْطوس

121 – وعليك سلام مل يِي ما تّڭيت اقبيل ن ميت

122 – اتّڭيت وماني خ تميزار ماكّ يد بِيوينْ

123 – جيبريل أياد يسلّمن اقبيل لجنّات

124 – اغ ڭيغ، نڭاد ارقّاس لّباري س دارون

125 – ساوْد يُّول يخلق لباري تعالا لجنّات؟

126 – أبلا ختاد اجيبريل عاود يِي لخبار نك

127 – ثّامت لجنّات أيْلان يناس د ها يات

128 – سات ياضنين تيد خ نتِّيلي فهم لاخبار نغ

129 – كويات ڭيس نت تيلي تّام لاَبواب ور الفُ

130 – وعام ن ثْوَادا كاد اكّ مياڭالن ئ يات ڭيس نت

131 – مياڭالن ييُووّابن كولّو لجنّات خ تلّيت

132 – د لابْواب لّي ڭيس نت اجيبريل عاود يي اوال

133 – ريضْوان اد اكّ يكّا لباري تعالا ف لجاميع

134 – لابْواب ن سات لجنّات يحاضر اكّ ڭيس نت

135 – ورّا يزري حتّا وابيبا س لقصور لجنّات

136 – ئغ ور يِيوي لامر اس يتّودو بلا تيد رورين

137 – سيدنا قايْطوس يلمّا ار يتعجّاب غ غايْلِّي

138 – س يفتا جيبريل ور جّون يژري لخبار نس

139 – ؤر اكّ دار سن يلّي سّمع نك اجيبريل ولا

140 – ريضْوَان ولا جُّون ژرين لخبار لجنَّات

141 – ؤلا ژران سمع ن دونيت ماد اك ڭيس نت

142 – ؤلا لموت ولا سِّيوَالْ ولا لحساب د نَّار

143 – يسغاب اس ربِّي لخبار ن كرا د يڭلي صوّر

144 – لحوضرات ولقودس اف ادّ ايْراحا تّهنّان

145 – مايڭان لحوجّا نك ما كّيد يوين دار نغ؟

146 – أ جيبريل ار وكان شْوينڭيمغ ئ لاخبار نك

147 – مايْرا سّولطان ارقّاس نس ار يي تّهاوّالن

148 – ءغ ور تا يژري يان لخبار مّا تّ ييد يوين

149 – جيبريل ئنّاس لحوجّا نو اد- ديتك نمون

150 – وْلا لجنّات اد ئنّا سّولطان حورّود سرسن ت

151 – ئ لاحباب ينو غ لجنّات اد اسن يزايّد لفرح

152 – سايْدنا قايْطوس ئدهش ور يصّحي لاخبار نس

153 – ئفك ئ جيبريل يحاسب ور يقصاد ايْدا ايكتم

154 – ما يرا سّولطان ارقّاس ورت يلازم ايْكتم

155 – غ لاخبار ولا سّوفان اد ور كين ابداعييّ...

.../... مبتور

تاريخ المخطوط الأمازيغي المكتوب بالحرف العربي في منطقة سوس

الأستاذ عمر أفا
كلية الآداب - الرباط

بدايةً، ينبغي أن نتناول تاريخ المخطوط الأمازيغي قبل أن نتناول أهميتَه ومجالاتِه مما نستدركه ضمن عنوان هذه الندوة، ذلك أن كل تأسيس ينبغي أن ترسوَّ قواعده بناء على أصول تاريخية متجذرة، وقد رأيت أن أتناول الجانب التاريخي للمخطوط الأمازيغي، مع اختيار جهات سوس [1] تجنباً لسلبيات التعميم.

ونظراً لأن الأمر يتعلق بالمخطوط الأمازيغي المكتوب بالحرف العربي، فلابد من بعض التعميم مما يسمح بوضع تصور للأمازيغية في بعدها الكوني، انطلاقاً من مدخل نتأمل فيه: كيف هاجر الحرف العربي وانتشر؟ كيف خرج من الجزيرة العربية والشام إلى العراق وبلاد فارس، وإلى الهند وبلاد الترك وأطراف الصين، ثم إلى شمال إفريقيا نحو بلاد

(1)- منطقة سوس بالمغرب تمتد جغرافياً لتشمل الجهات التي تنحصر بين سفوح الأطلس الكبير الجنوبية وكامل جبال الأطلس الصغير، وما تضمه من سهول ومن جبال ساروا إلى سواحل وأطراف من الصحراء مما يلي ضفاف درعة في الجنوب، وقد تنضاف إليه جهات حاحة. (انظر: عمر أفا، ***مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر***، منشورات كلية الآداب، بأكادير، سنة 1988، ص. 65 وما بعدها).

المغارب والأندلس وإلى جهات إفريقيا ومن ثم إلى بقية حدود خريطة العالم العربي الإسلامي، وأعتقد أن هذا الإطار ينبغي النظر إليه تاريخياً بصفة مجملة لإعطاء هذا التسلسل بُعده الحضاري والتاريخي [2] ذلك أن الحرف العربي ارتبط بالفتوحات الإسلامية وتطور مجاله باتساع الرقعة الجغرافية للرسالة الإسلامية التي كونت ثورة شاملة انعكست آثارها على جميع الميادين ولدى مختلف الأمم.

وقد عرف امتدادها مراحل زمنية بارزة حيث شملت أولاً كل أجزاء الجزيرة العربية عند وفاة الرسول (سنة 11هـ/ 632 م)، ثم وصلت إلى العراق وبلاد فارس الإيرانية، ثم إلى مصر وأطراف بلاد إفريقيا الشمالية في نهاية الخلفاء الراشدين سنة 41 هـ/ 661م. ووصلت هذه الرسالة إلى الشمال الإفريقي في بلاد المغارب والأندلس في نهاية العهد الأموي سنة 132هـ/ 750م. وفي العهد العباسي شملت كل هذه الجهات مضافاً إليها الهند والتركستان سنة 160هـ/ 776م، لتستكمل فيما بعد صورتها الممتدة من أطراف الصين إلى جهات أوروبا وصقلية وجهات أفريقيا [3].

ومن المعلوم أنه لم يكن قبول هذه الرسالة – بما تحمله من معالم الهداية – بالأمر الهين، فقد تطلبت لتصل إلى هذه الحدود مقداراً من الزمن يزيد عن ثلاثة قرون، عانت خلالها الكثير من المواجهة والصراع قبل الاستقرار.

---

(2) – محمد أبو طالب، ***الكتاتيب القرآنية بين الأمس واليوم*** أعمال ندوة الطفل: التربية والتغيير الاجتماعي، منشورات رئاسة جامعة محمد الخامس، الرباط 1979، ص. 98..
(3) – لجنة من الأساتذة، ***العصور الوسطى***، المطبعة البوليسية، حريصا ـ لبنان، 1960، ص. .104انظر: الخياط محي الدين، دروس التاريخ الإسلامي، المطبعة العصرية، صيدا ـ بيروت، 1953، ج 4، ص. 24.

وقد تطلب الاستقرار والقبول في شمال إفريقيا، أي في بلاد المغرب والأندلس، أزيد من أربعين سنة إلى نصف قرن من المواجهة والحروب، مع كل من البيزنطيين والمغاربة الأمازيغ في مجموع أنحاء البلاد في الفترة ما بين سنوات 50 و 92 للهجرة (670م ـ 711م)، شملت ولاية عقبة ابن نافع الذي عين مرتين فبسط نفوذه من تونس إلى المغرب الأوسط والأقصى حتى وصل إلى طنجة، وامتد إلى حدود سوس. وشملت كذلك ولاية الخليفة موسى بن نصير وإخضاعه لبلاد المغارب وتوجيه طارق ابن زياد فتَمَّ إخضاع بلاد الأندلس[4]. بين 87 و 92هـ/ 706 و 711م.

كنا مضطرين إلى سوق هذه المعطيات البديهية لنَتَبَيَّنَ المعالم الأولى لتأسيس كتابة المخطوط عموماً بالحرف العربي، ولنضع التساؤل: كيف تعاملت الأمم العجمية - على حد تعبير الكتابات التاريخية - مع هذا الحرف سواء كانوا من الفرس الإيرانيين أو الأتراك أو الهنود أو الأمازيغ أو غيرهم؟ وليس من شأن هذا العرض أن يتناول شيئاً عن الحروف القديمة المستعملة في الكتابة لدى هذه الأمم قبل استعمال الحرف العربي، لأن ذلك يحتاج إلى كلام طويل، وليس من شأن هذا العرض أيضاً أن يستفيض في الحديث عن أساليب التعامل مع الحرف العربي نفسه مما هو من اهتمام الباحثين في علم اللسانيات.

وإننا نكتفي تاريخياً بتوضيح الملامح الأولية عن استعمال الحرف العربي كممارسة لإنتاج المخطوطات والوثائق في لغة هذه الأمم العجمية.

---

(4) - عبد العزيز أمين وآخرون، ***تاريخ العصر الوسيط***، منشورات وزارة التربية الوطنية، مطبعة دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1972، ص.56.

فإذا كان عراق العجم وفارس أول الجهات الآسيوية التي استعملت الحرف العربي لكتابة اللغة الفارسية منذ بداية الفتح سنة 22هـ/ 643 م، فإنه لم يصبح رسمياً إلا في نهاية القرن الثاني الهجري، الثامن للميلاد، عند تأسيس الدولة الطاهرية بخراسان 205هـ/ 821م، واستمر استعمال هذا الحرف في اللغة الفارسية دون انقطاع إلى اليوم، فتراكم للدولة الإيرانية العديدُ من المخطوطات والوثائق والمنمنمات [5].

وفي بلاد الهند، فقد انتشر استعمال الحرف العربي في المناطق التي وصل إليها الإسلام [6] فاستعمله المسلمون في كتابة اللغة الهندية واستمر استعماله جزئياً في بعض الجهات. وكنا نرى مما يصلنا من ملصقات الإعلان عن الأفلام أنها مكتوبة بالحرف الهندي والعربي والأجنبي خلال الخمسينات والستينات من القرن العشرين. وقد اختفى الحرف العربي بعد الثمانينات من عناوين الأفلام الهندية، مما يدل على التراجع عن استعمال هذا الحرف حتى اختفى منها الآن.

وبخصوص الأتراك، فإنهم استعملوا الحرف العربي واللغة العربية منذ اعتناقهم للإسلام وكانوا يكتبون اللغات التركية ولهجاتها بالحرف العربي قرابة عشرة قرون، ما بين القرن الرابع للهجرة/ العاشر للميلاد إلى مطلع القرن العشرين، غير أنه انطلاقاً من بداية القرن التاسع عشر، فيما يسمى يومئذ عهد التنظيمات سنة 1839م، بدأت فكرة الانفصال عن الحرف العربي واستعمال الحرف اللاتيني بدله على يد المجمع اللغوي التركي، ولكن ذلك لم يتم رسمياً إلا في ثلاثينيات القرن

---

(5) – حسن إبراهيم حسن، ***تاريخ الإسلام***، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1961، ط 6، ج 1، ص. 220، ***وتاريخ الدول الإسلامية*** (الآتي)، ج 1، ص. 94.

(6) – محي الدين الخياط، ***دروس التأريخ الإسلامي***، **المرجع السابق**، ج 3، ص. 53.

العشرين في عهد كمال أتاتورك وبقيت على استعمال الحرف اللاتيني إلى اليوم (7).

أما وضعية المغرب من حيث استعمال الحرف العربي، فقد بدأ استعماله خلال النصف الثاني من القرن الأول للهجرة في كتابة اللغة العربية، وكانت الوثيقة الخطية الأولى التي استطعنا الحصول عليها عبارة عن فلس نحاسي ضرب في عهد الخليفة موسى ابن نصير غداة فتح الأندلس سنة 92هـ/ 711م كتب عليه في الوجه الأول: ***لا إله إلا الله وحده، وفي الوجه الثاني: ضرب في سنة اثنتين وتسعين،*** وكلها بالخط الكوفي (8).

وبعد ذلك، توسع استعمال الحرف العربي في الكتابات العربية واشتهرت مخطوطات خزانة الخليفة الإدريسي يحيى الرابع، الذي عاش في القرن الثالث الهجري وكان له ولع بالكتب.

وفي هذا القرن، تأسس جامع القرويين، ولا تذكر المصادر شيئاً عن خزانته إلى القرن الثامن الهجري في العهد المريني.

---

(7)- بخصوص استعمال الحرف العربي لدى الأتراك، انظر:

- أكمل الدين إحسان أوغلي، الدولة العثمانية، تاريخ وحضارة، إسطانبول، 1999.

- Mantran, Robert, *L' Histoire de l Empire Ottoman*, Fayard-Paris, 1989.

- أحمد سعيد سليمان، ***تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة***، دار المعارف بمصر، 1972، ج 2، ص. 153.

- عبدالكريم غرايبة، ***العرب*** والأتراك، مطبعة جامعة دمشق، 1961. - أكمل الدين إحسان أوغلي، الدولة العثمانية، تاريخ وحضارة، إسطانبول، 1999.

(8) - H.H. Abdul Wahab. - ***Un témoin de la conquête arabe de L'E spagne.*** in Revue Tunis, Carthage, 1932, p. 145.

هذا الفلس ضرب بالمغرب وكتب في وجهه لا إله إلا الله وحده وفي الوجه الثاني ضرب في سنة اثنين وتسعين.

أما كتابة اللغة الأمازيغية بالحرف العربي في المغرب، فلا نملك وثائق تثبت بداية تدوينها، وتتحدث المصادر عن الكتابات البرغواطية باللغة الأمازيغية في القرن الخامس للهجرة/ الحادي عشر للميلاد، وكثر الحديث عن كتابة القرآن المزعوم كما ورد عند البكري في المسالك والممالك [9]. وفي القرن السادس، عرف العهد الموحدي تعدد التآليف بالأمازيغية وكان أشهرها مؤلفات المهدي بن تومرت التي وضعها تحت إلحاح الحاجة إليها لنشر مذهبه وسياسته بين السكان في جبال جزولة بالأطلس الصغير وتين ملل بالأطلس الكبير في إطار البوادي التي لا يعرف أهلها اللغة العربية على الإطلاق. وتذكر الرواية الشفوية المتواترة إلى اليوم في منطقة هرعة (أرغن) أن المهدي بن تومرت لما كان في مسجد قرية ماكَنون علَّم السكان سورة الفاتحة [10] وذلك: بإطلاق كلماتها أسماءً على المصلين وهم في صفوف قارة، فكان إذا قرأ الفاتحة في الصلاة، فكأنما ينادي كلاً باسمه، وبذلك حفِظ الجميع الفاتحة والسور القصار. ومن مؤلفات المهدي بن تومرت: ***عقيدة أو مرشدة المهدي وكذا ترجمة سبعة أحزاب من القرآن الكريم*** بالأزمايغية ثم كتاب ***الطهارة وعلامات المنافق كَانت كّوصت وتاناركوت ن تيسّار وتُويات حمدات إربي العالمين*** [11] وغيرها.

---

(9) – بكري، ***المسالك والممالك***، ص. 87. 135. 141؛ ***معلمة المغرب***، المجلد 4، ص. 1169.

(10) – **تحقيق عن مكان ولادة المهدي بن تومرت**. بقلم مرادي عبد الحميد الباعمراني في كتابه ***لمحات من تاريخ سوس***، انظر: مجلة **كلية الشريعة** بأكادير، العدد الأول، سنة 2000، ص. 137.

(11) – الحسن العبادي، إحياء التراث العلمي: ***موطأ المهدي بن تومرت***، مجلة **الكلمة** لجمعية علماء سوس، عدد 4، سنة 1972، ص. 63.

وقد أحدثت هذه المؤلفات بالأمازيغية في الوسط البدوي تحولاً فكرياً وثقافياً، على مستوى مناقشة العقائد والعلوم العربية والإسلامية والقضايا المذهبية، ومسائل الجهاد والزكاة والصوم والحج كلها باللغة الأمازيغية، مما أدى إلى تعميق الثقافة الدينية في مجال العقيدة والعبادات والمعاملات في تلك الأوساط البدوية التي لا يعرف سكانها العربية أصلاً [12].

والمعضلة التي ما زالت تُحَيِّر الدارسين، هي كون مؤلفات المهدي، يلاحظ أن نسخها العربية موجودة في كثير من الخزانات، وقد شرحها العديد من السوسيين وغيرهم، ولكن نصوصَها الأمازيغية ما زالت في حكم المفقود إلى اليوم.

وإذا كان المهدي قد ركَّز على مسألة العقيدة، فقد استمر التأليف في هذا الفرع وعرف العديد من المخطوطات بالأمازيغية في مختلف العهود، نذكر أمثلة منها: ففي العهد السعدي، عُرف مخطوط عن الشيخ سعيد بن عبد المنعم الحاحي في النصف الأول من القرن السادس عشر؛ وفي العهد العلوي، عُرفت عقيدة أبي العباس أحمد الجشتيمي المتوفى سنة 1910[13] وكانت تدعى **«النصيحة»**. وقد تعددت التآليف في مجال النصيحة لدوام الحاجة إلى ضرورة تصحيح المسار العقيدي.

أما ترجمة معاني القرآن بالأمازيغية، فقد تعددت المحاولات بدءاً من القرنين الثالث والرابع الهجريين من قبل الخوارج الصفرية البرغواطيين، ولاقت محاولاتهم معارضة من قبل الفرق المذهبية الأخرى

---

(12) – أحمد بوزيد الكنساني، ***التآليف الأمازيغية في سوس***، مجلة **كلية الآداب** بالرباط، عدد 25، سنة 2003، ص. 210.

(13) – الجشتيمي أحمد، ترجمته توجد ***بالمعسول*** للمختار السوسي، **(م.س)**، ج 6، ص. 83 وما بعدها.

لدواعي دينية وسياسية، ثم ما قام به المهدي بن تومرت كما سبق ذكره.

وفي نفس السياق، استشار العالم السوسي محمد بن محمد بن عبد الله السملالي المتوفى سنة 1122 العلامة أبي علي الحسن اليوسي فاستحسن الفكرة بشروط [14]. ولا ندري ماذا تحقق من هذه الاستشارة. وشاء الله أن تتحقق المحاولة مؤخراً على يد الأستاذ الحسين جهادي [15]في ترجمته لمعاني القرآن في أيامنا هذه.

وإن كتابه ***«تاريخ المخطوط الأمازيغي سواء في سوس أو في عموم البلاد»*** مشروع طويل النفس ما زال العمل فيه جارياً.

وفي هذا العرض، لا يمكن أن نتتبع كل المجالات التي عرفت إنجاز المخطوطات الأمازيغية في منطقة سوس، وقد شمل التأليف والترجمة مختلف العلوم في مجال:

الحديث النبوي، والفقه المالكي، والوعظ والتصوف، والسيرة النبوية، والتاريخ، وعلم التوثيق، وعلم الطب والتداوي بالأعشاب، وعلوم الفلاحة والتربة والمياه، وعلم الفلك والتوقيت، وكثير من القصائد والأهازيج.

وأحيل في هذا الصدد على نماذج من التأليف بالأمازيغية بسوس في مقال منشور بمجلة كلية الآداب بالرياط في عددها الخامس والعشرين سنة 2002-2003 للأستاذ أحمد بوزيد الكنساني، ونكتفي هنا بعرض بعض الخلاصات.

---

(14) – المختار السوسي، ***المعسول***، (م. س)، ج 5، ص. 52.

(15) – الحسين جهادي، ***ترجمة معاني القرآن الكريم بالأمازيغية***، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2003.

خلاصات واستنتاج:

من خلال دراستنا لبعض جوانب تاريخ المخطوط الأمازيغي بالحرف العربي يمكن أن نصل إلى نتائج وخلاصات غاية في الأهمية والعمق، مما يجعلنا نفهم كثيراً من التقابلات الصعبة التي كانت تحتاج إلى كثير من الحكمة والتروّي بغية الوصول إلى أحكام صائبة بنَّاءة، منها:

1 - **الاستنتاج الأول:** إذا كان المغرب في عمومه مجالاً لإنجاز المخطوط باللغة الأمازيغية بمختلف أقسامها: الزناتية والمصمودية والصنهاجية سواء في الريف أو في الأطلس المتوسط أو في جهات سوس، فإننا وجدنا أن منطقة سوس أكثرُ جهات البلاد اغتناء بالمخطوط الأمازيغي ووثائقه، ولعل السبب يعود إلى الموقع الجغرافي الذي جعل هذه الجهة الجنوبية بمنئً عن التأثيرات الوافدة فاحتفظت بكثير من الاستقرار اللغوي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي أيضاً. ويبرهن على ذلك أن هذا القسم الجنوبي من البلاد كان أصلا لنشوء أغلب السلالات الحاكمة من المرابطين والموحدين والشرفاء السعديين ثم الشرفاء العلويين، كلها انطلقت أصلاً من هذه الجهة إلى الشمال، فكان هذا القسم أحد روافد البلاد، فمنه انطلقت فئات عالمة وفئات تاجرة وأخرى عاملة نحو الشمال، وهي أيضاً رافد من روافد التراث الأمازيغي المخطوط. وهذا الاتجاه الذي يتخذه الفعل التاريخي من الجنوب إلى الشمال، يبرهن بكل تأكيد على تلك الصورة الرائعة لنظرية المغفور له الحسن الثاني الذي شبَّه الحضارة بالشجرة التي تتعمق جذورها في الجنوب لتثمر بأغصانها نحو الشمال، وهذا التفسير يتوجه إلى الفعل الحضاري دون أن يخصص أي امتياز لجهة دون أخرى؛

2 – **الاستنتاج الثاني:** أن اللغة العربية والحرف العربي في ظل الإسلام، خدما اللغة الأمازيغية وحافظا على أصالتها واستمرارها، كما حافظا على لغات أمم أعجمية أخرى، لأن الإسلام لا يمحي خصوصيات الأمم سِيَّمَا الإيجابية منها، وإنما يستفيد منها، ولأن الأمازيغ اقتنعوا كل الاقتناع – بعد صراع قرابة نصف قرن –، أن الإسلام واللغة العربية والحرف العربي من صميم هُويتهم، وهذا التقابل لم يدركه في عمقه بعض الزملاء الباحثين الذين نُكِنُّ لهم كامل الإجلال، إذ كانت الصورة تنطلي عليهم أثناء بعض الأعمال التنظيرية وهم يتحدثون عن علماء الأمازيغ [16]، ذلك أن أغلب المؤرخين والكتاب كانوا من العلماء، وهي قاعدة عامة مثل اليعقوبي والطبري والواقدي وابن خلدون وكذا الناصري وابن زيدان والمختار السوسي، وكانت النظرية الشائعة عندهم ترتكز على مقصد واحد هو **«الحفاظ على وحدة الأمة»**. فالعالم بعلمه وببنيته الشخصية، يعتبر أداةً لبناء الأمة وصَون وحدتها، «لأنه المقتدى به في شؤون الدنيا المقتدى به في شؤون الدين صادراً في ذلك عن أخلاق الإسلام» [17]. وبعيداً عن كل ذهنية نُخبوية فهو قد اكتسب مناعة ضد أية إيديولوجية وافدة. وللعلماء مقوماتٌ تصونهم عن كل تأثير خارجي حتى بالنسبة لمئات المدارس العتيقة التي يعمرونها في جهات سوس وعموم المغرب لم تستطع إلى اليوم تعريب اللسان الأمازيغي وظلت تُدرِّس اللغة العربية وجميع موادها في تلك المدارس بهذا اللسان الأمازيغي وتنتج به.

ومن حيث الإنتاج باللسان الأمازيغي، فإذا نظرنا إلى أسرة علمية سوسية واحدة مثل الأسرة الإلغية التي منها محمد المختار السوسي،

---

(16) – أمثال أحمد عصيد، ***الأمازيغية في خطاب الإسلام السياسي***، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، سنة 2000، ص. 111.

(17) – وكَاك الحسين، ***كيف نشأ التعليم الأصلي في سوس***، **مجلة** الكلمة الصادرة بأكادير، لجميعة علماء سوس، عدد 2، سنة 1972، ص. 53.

نجده وهو المتضلع في اللغة العربية وأساليبها البلاغية ينتج بها ويُترجم إلى الأمازيغية كتاب الأربعين النووية ويؤلف قاموساً أمازيغياً [18]، ويترجم والده الشيخ علي الدرقاوي كتاب "الأمير" المصري في الفقه، ويترجم أخوه الفقيه سيدي عبد الله بن علي المتوفى قريباً سنة 1995 إلى الأمازيغية، كتاب نور اليقين في سيرة سيد المرسلين في مجلدين. وترجم قسم العبادات من رسالة ابن أبي زيد القيرواني في مجلد، وترجم كتاب رياض الصالحين للإمام النووي في أربعة مجلدات [19]. هذه أمثلة واحدة من هذه الأسر العلمية السوسية التي دبَّجَت المخطوط الأمازيغي ناهيك بغيرها من الأسر السوسية [20]. مثل الأدوزيّة والسملاليّة والأزاريفيّة والبونعمانيّة والكشتيميّة والإفرانيّة والكرّاميّة وغيرها. أفلا تكون اللغة العربية والحرف العربي أداة لصون اللغة الأمازيغية وتراثها في ظل الإسلام وكُتب إليها الاستمرار على أيدي هؤلاء العلماء وعلى أيدي أحفادهم يشهد لهم ما خلدوا من مصنفات في التراث الأمازيغي؛

3 – **الاستنتاج الثالث** أن المخطوطات المؤلفة في جبال جزولة بمنطقة سوس وغيرها من مناطق المغرب، تعتبر خزّاناً لمادة اللغة الأمازيغية وأساليبها البلاغية وخزاناً لتاريخها وذاكرتها. هذه العناصر التي ما تزال ملامحها الكبرى حاضرة بقوة في الممارسة اليومية، رغم ما ينتاب هذه الجهات من مختلف التأثيرات الوافدة. ومن الثابت أنه كلما كان العَالِم والفقيه ضليعاً في اللغة العربية كلما كانت لغته

---

(18) – محمد المختار السوسي، ***سوس العالمة***، مطبعة فضالة، المحمدية، 1960. وانظر ***الثقافة الشعبية بين المحلي والوطني***، أعمال الدورة الثالثة للجمعية الصيفية بأكادير، 1988، ص. 145، 152.

(19) – السعيدي المهدي، ترجمة العلامة عبد الله بن علي الدرقاوي، جريدة العلم بتاريخ 5 أكتوبر، 2003، ص. 6.

(20) – صدر كتاب "الأسر العلمية في سوس" ضمن منشورات كلية الآداب بأكادير والمجلس البلدي بتزنيت، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2003.

الأمازيغية أكثر عمقاً، وقد حافظت مؤلفاتهم الأمازيغية على رصيد لغوي معجمي، وعلى مختلف الأساليب البلاغية شعراً ونثراً، وتسمو تلك الأساليب في الأوساط الدراسيَّة للمواد العربية، حيث تستعمل الأمازيغية في فهم العلوم العربية بما فيها مادة النحو، كما تفهم بها أسرار مختلف العلوم. وهذا تقابل آخر مع اللغة العربية كان من نتائجه أنه سَهَّلَ تخزين اللغة الأمازيغية وتحصينها تاريخاً وذاكرة ضمن هذه المخطوطات؛

4 - **الاستنتاج الأخير:** لا يمكن إنجاز تاريخ حقيقي للمخطوط الأمازيغي وللغة الأمازيغية نفسها وللإنسان أيضاً، إلا إذا وقع جَمْعُ التراث الأمازيغي المخطوط مع زيادة التنقيب عن كنوزه، ومن ثَمَّ إحصاؤه وفهرسته وتحليله ودراسته. وإذا كنا نتحدث عن المخطوط الأمازيغي في جهات سوس فماذا عن هذا المخطوط في مختلف جهات البلاد؟ إننا في حاجة إلى صون الهوية الأمازيغية بجمع تراثها المخطوط منه والمطبوع. وقد آن الأوان أن يضطلع المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية بمهمة إنشاء مكتبة للتراث الأمازيغي، تجمع شتات البقية الباقية في البلاد، وهي ما تزال كثيرة بحمد الله. كما ينبغي أن يضطلع كذلك باسترداد ما تهافت الأجانب على اقتنائه من خزائن بلادنا ووضعه ضمن المكتبات الأوروبية والأمريكية وغيرها، ويتم هذا الاسترداد في إطار العلاقات الدولية مستعملاً في ذلك كل وسائل النسخ والنقل المتاحة. والأمل معقود على جهود كل الباحثين في رحاب هذه المؤسسة الفتية.

والله الموفق.

قراءة أنتربولوجية في مخطوط ديني أمازيغي "بحر الدموع" لمحمد أوزال

الأستاذ محمد أديوان

كلية الآداب، الرباط

ينسب هذا المخطوط إلى الشيخ أبي عبد الله محمد (فتحاً) بن علي بن إبراهيم أكبيل الإندوزالي السوسي [1].

وتشح المصادر عند الحديث عنه، إلى حد أنها لا تذكر من فترات حياته سوى الوقت الذي اضطر فيه إلى مغادرة قريته، خوفاً من ثأر محقق بعد أن صدر في حقه حكم التعزير والنفي، لما قتل أحد أفراد عشيرته.

رحل محمد أوزال إلى تمكروت، وهناك استقر به المقام في الزاوية الناصرية التي سيقضي فيها ردحاً من الزمن، مكّنه من أن يغير نمط حياته، وينخرط في سياق صحبة دينية صوفية، رسخت في نفسه مبادئ العقيدة والتصوف. فتلونت أحوال حياته بهذا المدد الروحي الإسلامي، لما لازم شيخ الزاوية الناصرية فترة طويلة من الزمن.

ولما بلغ به الأمر إلى حد الطمأنينة القلبية في كنف الزاوية

(1) - أكبيل نسبة إلى إكبيلن، وهي فرع كبير من فروع قبيلة إيندزال. وللتفصيل، انظر:
PauletteGaland, « Notes sur les manuscrits à poèmes chleuhs de la bobliothèque générale de Rabat», Journal asiatique, vol. CCCLX, 1972, pp.299-316.

وانظر كذلك:

- Noco Vanden Boogert, Muhammad Awzal and the berber Liberty Tradition of the Sous, Leiden,1995.

الناصرية، زينت له نفسه الرجوع إلى بلدته لاستطلاع أمر إخوانه وأهله، ولاسيما بعد أن تشرب قلبه بمعاني الإيمان الصوفي الذي أنساه حال الدنس والجرم الذي اقترفه في حق أحد أفراد عشيرته. ولقد كان هذا الإحساس بالرغبة في العودة مقروناً لدى محمد أوزال برغبة نظيرة لدى شيخه أحمد الدرعي الناصري، الذي زين له أمر العودة وشجَّعه عليها بعد أن علم بحقيقة حاله القلبية ومدى صفاء سريرته وباطنه. وقد شجعه شيخه على المغادرة إلى مسقط رأسه سوس لكي يضطلع هناك بمهمة التربية الروحية الصوفية باعتباره رسولاً للزاوية الناصرية إلى تلك البقاع البعيدة.

وكانت هذه الرغبة في العودة جغرافيّاً مقرونة بعودة رمزية، وهي اكتمال الشعور بالتوبة. وتحقق هذا المقام في قلب سيدي محمد أوزال بعد أن عاد من حال الدنس بالجرم إلى حال الطهارة بالتوبة النصوح، فصار بهذه العودة الروحية والإيمانية الرمزية أهلاً لتحقيق العودة الجغرافية، بالانتقال من مكان الزواية الناصرية بتمڭروت إلى مسقط رأسه بسوس.

وهذه العودة المقترنة بالتوبة، هي التي حملت سيدي محمد أوزال على فعل الكتابة الدينية الصوفية، المتمثلة في كتابة **«بحر الدموع»** الذي بزَّ به كثيراً من أقرانه في الزمن الذي كان فيه المخطوط الأمازيغي المكتوب بضاعة نادرة إن لم تكن في بعض البقاع السوسية في حكم البضاعة المنعدمة.

هذا السياق الثقافي والروحي هو المؤطر لهذا المخطوط الذي نود فيما يأتي أن نقدم له قراءة أنتربولوجية، تحاول أن ترصد رمزيته ودوره في سياق العلاقات الإنتاجية الثقافية في أعمال السوسي

والمجال المغربي بصورة عامة. وبرصد هذه العلاقات مع المجال الجهوي والمحلي، نستطيع أن نقدم في الوقت ذاته دوره في المجال الإسلامي الثقافي العام، مادام مخطوطاً يرتبط بالفكر الصوفي والفقهي الإسلامي في صورته المبسطة التي تستهدف المتلقي الشعبي العادي، ولاسيما الأمازيغي في النطاق السوسي.

إشكالات عامة حول المخطوط:

1 - أول ما يستوقفنا في هذا المخطوط هو الاسم الذي يحمله عنواناً، وهو: **«بحر الدموع»** أو **«نهر الدموع»** [أسيف نءيمطاون]. فهذه التسمية تحمل عناصر دالة على البواعث التي حملت المؤلف على كتابة هذا النص.

فهذا الخطاب يحمل في طياته استجابة لرغبة مكبوتة لدى المؤلف عبر عنها ضمناً، وهي رغبة ملحة في البكاء.

وإذا عرفنا أن البكاء يأتي استجابةً نفسيةً للتنفيس عن عدد كبير من الأزمات أو التوترات العصبية ذات الطبيعة المفرحة أو المفجعة، فإننا سرعان ما ندرك أن الباعث هنا أمر مفجع، مادام صاحب هذه الرغبة إنما يحاول أن يكفِّر بالبكاء والتوبة وإعلان الندم عن الجرم الذي اقترفه وهو جريمة القتل النكراء. فهو قد استحق أن يدخل في عداد مقترفي الكبيرة، إذ خرج عن الإسلام فقهيّاً، لأنه لم يحترم حدّاً "من حدود الله، وهو قتل النفس". فلما وقع في الحرام والكبيرة، وجب عليه أن يلقى القصاص؛ وبما أن القصاص لم يتم، فإن هذا الإحساس بالجريمة ظل يلازمه طوال حياته إلى أن تحول إلى ندم ورغبة في التوبة والخروج من حال الذنب إلى حال الغفران، فأعلن ببكائه المرحلة القصوى من هذا الندم المكبوت بداخله، وفجر طاقة النقد الذاتي

والعتاب الشخصيّ في أسلوب هذه الكتابة الفقهية والدينية والصوفية التي حاول بها أن يبكي بكاء حارقاً نحس به من خلال هذا النص «الحارق» بدلالاته وإيحاءاته الروحية العميقة.

فهو نص يحمل صاحبه على محفة البكاء إلى مستوى التوبة التي قد يحالفها الحظ فتقابل عند قبولها بالمغفرة.

هذا العنوان إذن، ليس مجرداً عن المعنى العميق للرمزية العامة التي يؤسسها هذا المخطوط في علاقته بصاحبه. ثم إن هذا العنوان يقدم الدلالة المباشرة على كون الكتاب يحمل هاجس التوبة النصوح والرجوع من حال المدنس بالجريمة إلى حال المطهر والمقدس بالتوبة. إن الفعلين اللذين قام بهما محمد أوزال غيَّرا حياته وشطراها إلى نصفين، نصف أنهاه بفعل الجريمة وهو شطر مدنس، ونصف دشنه بالتوبة النصوح وهو فضاء المقدس والمطهر.

2 – ولهذا المخطوط هدف تربويٌّ مباشرٌ: فمنذ قراءة الأبيات الأولى من كلام المؤلف، تبدو مؤشرات الخطاب التربوي حاضرة بقوة، ومنها:

أ – توجيه الخطاب بصيغة المخاطب؛

ب – لفت انتباه المتلقي إلى دلالات معينة ومحددة؛

ج– تغيير نبرة الخطاب من مقام إلى مقام، ولاسيما عندما يتعلق الأمر بمسألتي الترغيب والترهيب، وهما نسقان يقوم عليهما البناء الدلالي والمضموني لهذا الخطاب؛

د – استعمال الألفاظ والدلالات الأمازيغية من صميم فضاءات الذنب والجرح النفسي العميق الذي يشعر به المؤلف، ويحاول جاهداً أن ينقل المتلقي إلى أجوائه المفعمة بالدعاء والابتهال والتوسل والاعتراف بالذنب ومرارة الجرم.

ومن الإشكالات العامة أيضاً:

3 – إشكال آخر، وهو المحيط والدور التاريخي لهذا المخطوط. وهو يظهر في ما يلي من الوظائف التاريخية:

أ – تقريب مضامين الثقافة الإسلامية التي كانت مكتوبة بالعربية الفصحى والمقتصرة على الخاصة (النخبة)، وتقريبها من المحيط العام، والمتلقي العادي؛

ب – الانتقال من ثقافة الخاصة إلى ثقافة العامة؛

ج – استعمال مضامين الثقافة الشعبية وما يدعوه المختار السوسي بـ"علم الكرش"، ضمن مضامين الثقافة الشارحة والموضحة للثقافة الإسلامية المقدسة؛

د – توجيه معاني المقدس في الشعائر توجيها شعبيا مقدورا عليه من طرف عامة الناس، ولاسيما الفقه على المذهب المالكي وهو مذهب المغاربة؛

هـ – الانتقال بالخطاب المقدس من مخاطبة العقول والفهوم إلى مخاطبة القلوب والوجدان، ولاسيما التصوف على المذهب الأشعري وعلى طريقة الجنيد وهي طريقة المغاربة والثقافة الرسمية؛

و – الدور التعليمي والتربوي لهذا المخطوط. فهو بمثابة الدرس الديني المتاح في اللسان الأمازيغي لجميع الأمازيغ نسائهم ورجالهم دون أيِّ استثناء، من أجل تقريبهم من مضامين الدين الإسلامي.

ومن الإشكالات العامة أيضاً:

4 – الدور الاجتماعي للمخطوط، من حيث هو قد سمح لزاوية، هي الزاوية الناصرية بتامڭروت، أن تنتقل عبر المكان من خلال

أذكارها ومضامين طريقتها إلى سوس، بحيث خرقت مجالها الجغرافي الخاص، وانفتحت على مجالات جديدة ثقافيا. وصار لها روافد وزوايا فرعية في سوس بحيث كبرت الدوحة الناصرية وتشعبت طرق مددها الصوفي؛ فلم يعد يقتصر على تمڭروت والصحراء، بل انتقل إلى سوس، ومنه ربما إلى غيره من المناطق، نظراً لما هو معروف من تداخل الأنساق الثقافية في المغرب بسبب حركات القبائل وديناميتها المجالية.

5 – لهذا المخطوط دور كبير في خلق نمط من الثقافة الوسطى واللغة الأمازيغية الوسطى التي تدمج بنيات الثقافة الإسلامية العربية، ثقافة المدن، في بنيات ثقافة البادية التي تجملها اللغة الأمازيغية في سوس. فإذا كانت الثقافة الدينية الناصرية ثقافة إسلامية عربية على شاكلة ما يوجد في النسق الثقافي في حواضر فاس ومراكش وتطوان، فإن هذا المخطوط وغيره من مخطوطات الأمازيغ في أزمنة مختلفة كان لها دور كبير في ترسيخ مضامين ثقافة الحواضر ببرتوكولاتها الرسمية الخاصة في مناخات بدوية تدعمها ثقافة ريفية حميمة، تتلقى هذه الثقافة الوسطى عبر معبر اللغة الأمازيغية وتنفتح عليها وتتفاعل معها.

6 – نقل الثقافة الأمازيغية من مجال الشفوية إلى مجال الكتابة، بحيث ظلت الثقافة الأمازيغية مرتبطة بالذاكرة والتواتر. ومنذ محاولات "المرشدة" في الدين للمهدي بن تومرت، حاولت هذه الثقافة أن تضيف إلى محمل (support) الذاكرة محمل الكتابة، باعتبارهما وسيلتين لنقل المعرفة والفكر.

وهذا المخطوط (**«بحر الدموع»**) لأوزال، هو نموذج المخطوط الذي كان يحمل على عاتقه تعليم الدين الإسلامي على نطاق واسع

للشعب المغربي قاطبة في اللسان الأمازيغي، ولاسيما في المجال السوسي وما يقترن به من المجالات التداولية اللغوية.

فالانتقال من الأمازيغية إلى الخط العربي أمر يؤدي إلى تحديد أصل هذه الرغبة في نفس المؤلف، وهي رغبة إشاعة العلم الديني في الأوساط. ونحصي الآن حوالي 25مخطوطاً مثل **«أمازيغ»** لإبراهيم أزناگ (مخطوط)، يدرس الدين والفقه والتصوف... ومن ذلك في الفقه كتاب **«الحوض»** لأوزال.

7 – **في المجال الاجتماعي:** يضع هذا المخطوط أمام القارئ طريقة للسلوك الاجتماعي حسب قواعد الدين، وترتيب علاقة الإنسان بالمجال الاجتماعي وفق تصور المجتمع البدوي بأخلاقه وطبائعه وتهذيبه بقواعد الإسلام ومعتقداته.

8 – **المجال الديني:** وهو يطغى على المخطوط الأمازيغي منذ عقيدة "المرشدة" لابن تومرت. وهذا نص من صفحات تحدد مجالات العقيدة الموحدية حسب تصور الإسلام.

وقد اتخذت هذه الكتابة صبغة أهم في كتاب أزناگ **«أمازيغ»**، وعند محمد أوزال **«بحر الدموع»**، بحيث صار المجال الديني واضح المعالم، بل مؤسساً لدينامية اجتماعية ولسلطة معرفية وثقافية، ولاسيما أن هذا النص ينبع من نسق ثقافة الزاوية الناصرية في صورتها السوسية.

فقد تحول فعل الكتابة في كتاب أوزال من فعل مرسخ للكتابة، إلى فعل رسخ فعل الذاكرة والحفظ الشفوي، لأنه تم تلقينه إلى الناس أي العامة، الذين توارثوا حفظه وتلقيه راوياً عن راو، ونسي الأصل المخطوط والمكتوب إلا عند فئة قليلة من الناس ولاسيما الفقهاء وطلبة

المساجد الذين يقرأون القرآن، ونفر من ذوي الفهم (les clercs).

9 - إن الكتابة بالحرف العربي لمضامين الإسلام في اللغة الأمازيغية، كان له دور في كتاب أوزال، ثلاثي الأبعاد:

أ - الحرف العربي مستخدم لإعلان الانخراط في دائرة الثقافة الإسلامية بالحرف العربي المستعمل في هذه الثقافة، مما يرسخ الانخراط في سياق الفكر والسلطة الثقافية السائدة مبدئيّاً؛

ب - تقريب مضامين الإسلام بالحرف العربي يمكِّن الفقهاء أنفسهم- أصحاب المعرفة الإسلامية والممثلين للسلطة المعرفية القائمة على إشاعة أمر الإسلام وقواعده- من القيام بأدوارهم التثقيفية والتربوية في مساجدهم وزواياهم، بالقرب من عامة الناس؛

ج - تعمُّق مضامين الثقافة الأمازيغية وتلقيحُها بالثقافة الإسلامية، له وظيفة استراتيجية مهمة في الصراع السياسي حول المجال الثقافي، لأنه يسمح بترسيخ أصول التوافق الاجتماعي والنفسي والثقافي بين عناصر الثقافة الإسلامية العربية وعناصر الثقافة الأمازيغية العريقة. ومن شأن هذه الوظائف الثلاث تقريب الأنساق الثقافية والسماح لها بالتداخل وصناعة المجتمع المؤلَّف من بنيات متقاربة وذات مضامين مشتركة تضمن الاستمرار ورسوخ الأمن الثقافي بعيداً عن أي صراع.

إشكالات خاصة، لغوية ودلالية:

نلاحظ أن مخطوط "بحر الدموع" لأوزال ينحو منحى لغويّاً له رمزيته القوية ودلالات، أهمها:

1 - الاعتماد على المصطلحات العربية الإسلامية، وعدم الاجتهاد في خلق اشتقاقات أمازيغية وفق طقوس الاشتقاق اللغوي وطرقه؛

2- الإبقاء على بعض الجزئيات المعقدة في المباحث الفقهية والتوحيدية، بحيث يصعب على من ليس له مبادئ أوّليّة في هذه المجالات التوصل إلى حقائقها، وفك غموضها المرتبط بالنزاعات المذهبية أو الخلافات في الفقه الإسلاميّ. وهذا يؤدي إلى تقليص مجالات التأثير في المتلقين الأمازيغ، ولاسيما من عامة الناس الذين يتوجه إليهم الخطاب في هذا المخطوط؛

3 - ترك بعض المعاني الصوفية على غموضها، كما هو منصوص عليها في كتب الصوفية القدامى من المسلمين، دون محاولة تبسيطها تبسيطاً يتوافق مع الكم المعرفي والطاقة البسيطة والقدرة المتواضعة على التأويل للمتلقي الأمازيغي من عموم الناس المرتبطين بثقافة البادية؛

4 - استعمال مبدإ الضرورة واللجوء إليه في أمكنة متعددة من الكتاب، واستعمال التقديم والتأخير في البنيات اللغوية حفاظاً على إيقاع معين، مع ما تؤدي إليه تلك الرياضة اللغوية والإيقاعية من تداخل في التعابير ينشأ عنه غموض في المعاني والمضامين. فالمخطوط من ثلاثة آلاف بيت شعري، ويصعب إدراك المعاني والمضامين العميقة فيه، نظراً لاختلاط بنياتها بالإكراهات الإيقاعية واللغوية؛

5 - إن الشكل الإيقاعيّ الذي يعتمد عليه المؤلف في كتابته يدل على التأثر البالغ بالبنية الفنية للشعر من الزاوية العروضية. وهذا الميل المبالغ فيه إلى البنية الإيقاعية في الكتابة، جعلت من هذا المخطوط نظماً تعلُّميّاً يسهل حفظه من حيث هو صور إيقاعية صوتية متناغمة، وليس من حيث هو متن ديني فقهي وصوفي، نظراً لعدم توفية بعض المسائل حقها فقهيّاً وعقديّاً وصوفيّاً، بسبب انقطاع الإيقاعات قبل انقطاع المعاني والمضامين؛

6- من أهم إشكالات هذا المخطوط أنه يقدم لنا صورة لما كانت عليه اللغة الأمازيغية في زمنه. فهو صورة لغوية للاستعمالات المعجمية والتركيبة الصوتية، إذا اعتبرنا بعض الاجتهادات من المؤلف، من أجل مطابقة الصوت الأمازيغي للخط العربي محاولاتٍ جادّةً في تأريخ مرحلة من النطق الأمازيغي، ولاسيما أن الأداءات النطقية تختلف من منطقة إلى منطقة ولو في المجال اللغوي الواحد وهو عندنا سوس. ومن شأن كثير من هذه الاجتهادات أن تفيد في وضع صورة تقريبية لما كان عليه النطق الأمازيغي في ذلك العهد في القرن 18م.

7 - ينبغي مقارنة لغة هذا المخطوط وغيره بلغة مخطوطات أخرى، وبالنصوص من التراث الشعري الذي توصل إلى جمعه رواد المدرسة اللغوية والأنتربولوجية الفرنسية أمثال **جوستينار، وباسي، ولاوست، وكالان**، حتى نتمكن من وضع دراسات مقارنة بين نماذج وصور نطقية ونماذج تركيبية من اللغة الأمازيغية؛

8 - إن التشابه الظاهري بين الكتاب المخطوط **«بحر الدموع»**، وكتاب **«المرشد المعين»**، لا يكفي لنزع كل فضل عن الأصل المخطوط لـ **«بحر الدموع»**، لأن جهد الترجمة من العربية إلى الأمازيغية جهد كبير، يدل على قدرة اللغة الأمازيغية التي هي حاملة فكرٍ وثقافةٍ عامةِ الناس. بل إننا إذا انسقنا وراء هذه المقارنات المصدريةِ، توصلنا إلى القول أيضاً بأن **«بحر الدموع»** لأوزال قد يكون استلهاما لـ **«بحر الدموع»** لابن جزي؛ كما أن **«الحوض»** لأوزال حينئذ سيكون استلهاماً للـ **«قوانين الفقهية»** لابن الجوزي أيضاً. لكننا أردنا أن نبتعد عن هذه الافتراضات من أجل الإبقاء على صورة المخطوطات الأمازيغية كما رأيناها وقرأناها، لأنها هي بذلك أبلغ في إفادتنا بما نحتاج إلى معرفته من أحوال تاريخ اللغة الأمازيغية وأحوال المجتمع الأمازيغي في ديناميته في

سياق تحولاته الثقافية وتداخل أنساقه المعرفية المقدسة الإسلامية والأمازيغية التقليدية.

إن هذه المعرفة المتعددة في نظرنا، قمينة بأن تفتح أمامنا أبواباً من الدراسة الأنتربولوجية المجالية لربط اللغة الأمازيغية بمجالات الإنتاج الرمزي لأسواق ثقافية مغربية في القرية والحاضرة على حدٍّ سواء.

خلاصة مفتوحة:

ومن ثم، فإن المعرفة بحال المخطوط الأمازيغي في صورته الأصلية يجعلنا أمام صورة تقريبية عن أوضاع اللغة والحضارة الأمازيغية المغربية التي تداخلت فيها الأنساق الثقافية المختلفة، من عربية إسلامية وأمازيغية ويهودية وحسانية، في سياق تفاعلات خلّاقة حولت الثقافة المغربية إلى ثقافة مبتكَرة لا تعيد إنتاج الفكر الرسميّ في صورته الأصلية، بل تلقحه بعناصرِ ذاتيةِ كلِّ منطقةٍ وكلِّ ثقافةٍ محليةٍ، بحيث يسهل انتشارها وترسيخَها في المجال العام. فتصير ثقافةً تفاعلية واحدة ذات مضامين متقاربة ومنسجمة سواء كتبت بالخط العربي أو العبري أو الحساني أو الأمازيغي. فهذا عنوان على ثراء، ورمزٌ لحداثة، وانفتاح لاشك أن فيه كثيراً من الجديد الذي على المؤرخين والمختصين بالخطاب، والأنتربولوجيين وعلماء الاجتماع والتراث إثارة الأسئلة بصدده ومحاولة بناء الأبنية العقلية للإجابة عن هذه الأسئلة بصورة موضوعية وعقلانية.

إن هذه القراءة الأنتربولوجية لمخطوط **«بحر الدموع»**، لمحمد أوزال، الملقب بأكبيل، تبين مدى التصاق هذا الخطاب الديني بالمؤسسات الاجتماعية والثقافية في المجال السوسي من جهة أولى، والمجال المغربي من جهة ثانية، والمجال الإسلاميّ من جهة ثالثة.

وقد كشفت لنا هذه القراءة النقاب عن وجود حوافز عميقة على الكتابة والتأليف عند المؤلف، بحيث إذا لم نستحضر تلك الهواجس والبواعث النفسية في التحليل، تغيب عنّا الدلالات العميقة التي تؤسس مجاليّاً لثقافة التوبة والرجوع والعودة إلى حال الإسلام، بعد أن وقع

المؤلِّف في فعل جرمي (acte criminel) أخرجه من الإسلام إلى الكفر عمليّاً لا إيمانيّاً.

ومن شأن المقاربة الأنتربولوجية للنصوص الأمازيغية، أن تفتح الباب مستقبلاً أمام تأويلات عميقة تمكِّن من فهم حقيقة انتشار أنماط متنوعة من الثقافة في البقاع المختلفة من البلاد المغربية. ثم إن من شأن هذه المقاربة الأنتربولوجية المجالية أن تتيح البحث عن ثوابت الثقافة المغربية من خلال أنماط مختلفة من المخطوطات سواء كانت ذات موضوع أدبي، أو موضوع ديني فقهيّاً كان أم صوفيّاً أم عقديّاً، لأن الثقافة المغربية تشكل مجالات لتفاعلات رمزية بين أنساق مختلفة من الرموز التي ينبغي رصدها علميّاً.

أهمية مخطوطات سيدي حمو الطالب

الأستاذ عمر أمرير

المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية

تمهيد:

من بديهيات تاريخ الشعر الأمازيغي، كون شهرة أسماء المبدعين، والمبدعات، في جيل معين، شهرة تصبح مهددة بالخمول، والنسيان، بعد وفاتهم بزمن، إلى أن يلف الغموض تاريخهم، ويزول ذكرهم. ثم تجهل الأجيال المتعاقبة أسماء مبدعي الكثير من التراث الشعري الرفيع الذي على أطراف ألسنتهم حكما، وفنا بديعا...

هذه البديهية، بدأت تنطبق على سيدي حمو الطالب، أحد أشهر شعراء الأمازيغية، وأغزرهم شعرا طوال القرنين الأخيرين إلى أواسط السبعينيات من القرن العشرين، حيث بدأت عنايتنا به وبإنتاجه. فلم نجد أمامنا مصادره مخطوطة، أو مطبوعة، أو مسجلة صوتا، لذلك انطلقنا في بحثنا حوله من الصفر، بدءا بالرواية الشفوية، التي أفضت بنا إلى الاستغراب من كون إجماع الأمازيغيين- رجالا ونساء- على احترام شخص سيدي حمو [1]، والإعجاب بشعره، احترام وإعجاب لا

(1) - محمد المختار السوسي الذي يحلي الكثيرين بلفظة "سيدي" نجده لم يفعل ذلك حينما كان يسرد أسماء المؤلفين السوسيين في كتابه "سوس العالمة". فلم يستعمل هذه

يتكافئان إطلاقا مع الجهل المسيطر على الضروري، من المعلومات الخاصة بحياته. فعصره غير محصور عامة، فبالأحرى تاريخ ميلاده، ووفاته ثم الأحداث المغربية الكبرى التي بلورت أفكاره، وشخصيته. بل لم يصلنا من اسمه الكامل إلا اسمه الشخصي: حمو، يُحلَّى بألقاب الاحترام، إما لكونه من الفقهاء- الطالب- أو من المتصوفة- سيدي- أو من كبار الشعراء وشيوخ الشعر- باب ن أومارگ-. أي أن كل الصيغ لا يصلنا منها اسم أبيه- مثلا-، ثم لم نجد إجماعا على اسم القبيلة التي ينتمي إليها إلا بصدفة عجيبة، خلال مرحلة التحري الميداني الذي صححنا به ما أورده مؤرخ سوس، محمد المختار السوسي. ويبدو أنه وقع له خطأ مطبعي، إذ ذكر اسم «زاڭموز» [2] باعتباره موطن سيدي حمو. فبادرنا بالسفر إليه في سوس بناحية "تاليوين".

بوصولنا إلى «زاڭموز» فاجأنا السكان بما جعلنا نفهم أن المقصود هو اسم آخر، حروفه متشابهة وهو "أزڭروز"، الجزء المعروف من أراضي قبيلة أخرى تسمى تيفنوت. وهي تمتد من السفوح الجنوبية لأعلى قمة في الأطلس الكبير، قمة "توگ كال" التي حرفت إلى «توبقال» [3].

الكلمة في حق أي واحد من بين اثنين وثلاثين ومائتي مؤلف الذين ذكرهم في فهرست مؤلفي القرون الممتدة ما بين القرن السادس الهجري إلى الرابع عشر منه، إلا هذا الرجل، فقد حلى اسمه من بينهم جميعا، فقال عنه " سيدي حمو" :" ونشير إلى أننا أدركنا- وإلى الآن- أن جميع من سينطق بشعره، يترحم عليه أولا في بيت شعري خاص بذلك قبل النطق بالمقصود من شعره"،

(2) - محمدالمختار السوسي، المعسول، مطبعة النجاح، 1380هـ - 1961م، ج..415 .3

(3) - "توگ كال" أكد لنا سكان سفحها الجنوبي، أن القدماء، وإلى عهد قريب كانوا يسمون ما هو مشهور اليوم بـ "توبقال"، كانوا يسمونه "توگ كال" المركب من كلمتين أمازيغيتين توكا بمعنى المشرفة، وأكال أي الأرض بمعنى القمة التي تشرف على كل الأرض.

سافرنا من «زاكموز» تاليوين إلى «أزكروز» تيفنوت، حيث توغلنا إلى أطرافها التي تقبع فيها قرية تسمى «تاغكالت» وهي مسقط رأس سيدي حمو بإجماع الناس.

في صيف سنة 1980 م، ختمنا مرحلة الرواية الشفوية والتحري الميداني بتسجيل نتائج منها:

1- سيدي حمو من قرية "تاغكوالت" في قبيلة تيفنوت؛

2 - جمعنا من أفواه الرجال والنساء عددا مهما من الأغصان والمقاطع والقصائد التي تجاوز مجموع أشعارها الألف (4)؛

3 - بعد انطلاقنا من الصفر بالرواية الشفوية، وحدها، فوجئنا باكتشاف وجود مصادر سيدي حمو، تناهز الثلاثين، تغطي قرنا من الزمن وبعدة لغات. وتتوزع في الخزانات والمكتبات العامة والخاصة داخل المغرب وخارجه.

جميع تلك المصادر تؤكد أن المخطوطات منها أكثر إفادة من باقي الأنواع في المجالين الخاصين بسيدي حمو وترجمة حياته من جهة، وجمع شعره من جهة أخرى.

ولكي نستوعب أهمية ذلك التكامل المتفاوت بين النوعين، لابد من المقارنة المركزة بالتعرف أولا على نماذج مهمة من المصادر المنشورة، ثم التعرف على نماذج مهمة من المخطوطات. وضمنيا سنصل إلى أهمية تكامل المعلومات، قصد الإجابة عن كثير من الأسئلة المعلقة.

---

(4) - توجد كلها مكتوبة بخط يمني، في ملف خاص، يوجد في مصلحة إحصاء الممتلكات الثقافية لوزارة الشؤون الثقافية- الرباط.

أولا: المصادر المنشورة:

نُشر شعر سيدي حمو في كتب ومقالات منها ما هو باللغة العربية، ومنها ما هو باللغات الأوروبية.

ونحن نبحث عن المعلومات الكافية لتحرير ترجمة حياة الشاعر، وعن الأشعار الأمازيغية المنسوبة إليه لجمعها في ديوان خاص به. ولتحقيق ذلك، اعتمدنا في المصادر المنشورة على أنواع من نماذجها:

أ - *الترجمة*:

المصادر المنشورة، تبين أن شعر سيدي حمو ترجم إلى لغات بدأت أواخر القرن التاسع عشر بالألمانية، لتظهر ترجمات بالإنجليزية مع بداية القرن العشرين، وببداية عهد الحماية الفرنسية سنة 1912م. تتوالى الترجمات الفرنسية، إلى بداية استقلال المغرب سنة 1956م، حيث نصادف بداية الترجمة العربية.

في إطار التعرف على دور الترجمة في دراسة سيدي حمو وجمع شعره، سنقف عند نموذج كاف لبلورة المقصود. وهو ديوان بالفرنسية، عنوانه: **Chants berbères du Maroc** نشر سنة 1935م ترجمت فيه ل. ب. ماركَريت Lucie Paul-Marguerite عددا من القصائد الأمازيغية دون ايراد أصولها، وفي الصفحة 165 توجد ترجمة شعر نُسِبَ إلى سيدي حمو.

إن هذا الديوان نموذج لتلك المصادر التي لا تقدم النص الأصلي الأمازيغي، ولا يرد فيها من المعلومات ما يساعد على إغناء تحرير ترجمة حياة الشاعر. ثم إن أهمية الترجمة وحدها، تتجلى في كونها تحفزنا على البحث عن أصل الشعر المترجم، ورصده في التراث الهائل الذي نعثر عليه في مصادر أخرى مجهولة القائل. وقد نعثر ضمنها على

أطول النصوص التي لم يترجم منها إلا غصن أو مقطع قصير.

ب - *الكتابات الأجنبية:*

بلغت الكتب والمقالات التي درست الشعر الأمازيغي، وضمنه شعر سيدي حمو، أزيد من عشرة كتب. وسنعطي نموذجا بالوقوف عند أقدمها وهو دراسة للمستمزغ الألماني هـ. شتوم H.Stumme الذي صدر له سنة 1895م، في مدينة لايبزيغ بعنوان: " Duchtkunst und Gedichte der schleuh "، كتاب يضم داخل ثنايا دراسته تسعة وثلاثين غصنا-بيتا- ذكر المؤلف أنها لسيدي حمو الطالب. والأهم من ذلك، كتابة أصولها التي تورد النصوص الأمازيغية، مما يساعد على إغناء ديوان سيدي حمو... ونسجل ملاحظة تؤكد أن جل هذا النوع من المصادر لا يورد معلومات دقيقة تساعدنا على تحرير ترجمة حياة الشاعر.

ج - *الكتابات المغربية:*

المصادر المغربية المنشورة باللغة العربية، وورد فيها ذكر سيدي حمو، مصادر تتجلى في مقالتين: الأولى للصحفي أحمد أمزال، والثانية للأستاذ أحمد بوزيد الكنساني. وكلاهما وثق بعفوية إشادة جيلهم بسيدي حمو، ومدى الإعجاب بشعره... وقبل المقالتين، نشير إلى مؤرخ سوس، محمد المختار السوسي، الذي اعتنى بالشاعر سيدي حمو، عناية تأثرت هي نفسها بالمكانة الرفيعة التي يتبوأها في النفوس. ورغم تلك العموميات، صدرت عن السوسي معلومات أهمها ما يساعدنا فعلا على تحديد العصر المجهول للشاعر، إذ أدخله ضمن لائحة علماء سوس خلال القرن الثاني عشر الهجري [5]

---

(5) – حمد المختار السوسي. سوس العلمة، مطبعة فضالة، المحمدية، 1380هـ؛ ص. 194 إلى 245.

والجدير بالذكر، أن محمد المختار نفسه من حفاظ شعر سيدي حمو، وقد لجأ إلى الاستشهاد بشعره وهو يصف إحساسه الغريب خلال سيره في ملتقى أودية معروفة باللصوص، فتذكر شعرا قاله سيدي حمو في اشتهار ذلك المكان بقطاع الطرق. وبعد تدوين أصلهما الأمازيغي، ترجمهما إلى العربية ترجمة موفقة بهذه الصيغة. "إني لا أسلك أبدا "أقا" ومساكن أهل القبيلة، لأن فيه، اترك الكسوة، وقف أيها الشلحي" (6).

نلخص القول، بأن المعلومات الواردة عن سيدي حمو في كتابات محمد المختار السوسي لها أهميتها القصوى باعتبارها تبدد الشك في وجود الشاعر حقيقة، وتساعدنا على التأكد من كونه عاش في القرن الثامن عشر الميلادي، لنركز نحن على جهود توصلنا إلى تحديد الفترة التي عاشها باستنتاج التاريخ التقريبي لميلاده ثم وفاته. والأحداث البارزة التي تساعد على فهم البيئة التي نشأ فيها وتأثر بها، وأثر فيها بشعره.

تلكم أنواع من المصادر التي نراها تمثل نموذجا لشبهها من باقي مصادر سيدي حمو المنشورة؛ والتي نرى أن مجموع ما تقدمه من المعلومات، والأشعار الخاصة بالشاعر، يمكن أن نخرج منها جميعها بتعريف موجز، يؤكد أن الرجل هو" سيدي حمو الطالب، فقيه وصوفي، وشاعر أمازيغي من القرن الثامن عشر الميلادي. ولد في قرية "تاغڭوالت" بناحية أزڭروز من قبيلة تيفنوت، تضم المصادر المنشورة من الشعر المنسوب إليه ما يفوق الخمسمائة غصن شعري".

---

(6) – نفسه: خلا جزولة، مطبعة المهدية، تطوان، . 101: 3

هكذا، نلاحظ أن أهم ما حسمت فيه المصادر المنشورة هو تحديد مكان ميلاد الشاعر، والعصر الذي عاش فيه دون تحديد تاريخي ميلاده ووفاته. كما نلاحظ أن اسمه الشخصي يحلى بألفاظ "سيدي" و"الطالب" و"ايڭلين" و"باب ن اومارگ"، منها "الطالب" أي الفقيه، دون إشعارنا بمستوى تفقهه. ثم "سيدي" تذكرنا بصلاحه الصوفي كما تؤكده " ايڭلين" أي المسكين، ولكن دون معرفة الطريقة الصوفية التي ينتمي إليها. وكلها ألفاظ لا تغني في التعرف على شيخه في العلم والتصوف معا. وحتى شيخه في الشعر الذي جعله "باب ن اومارگ" أي شيخ الشعر، لا نعرفه بالضبط.

إن ما أوصلتنا إليه المصادر المنشورة عن سيدي حمو، ستزيده المصادر المخطوطة، وضوحا وصحة، إذ ننتظر أن نصل إلى معلومات جديدة تساعدنا أكثر على سد الفجوات التي بقيت بارزة في بناء ترجمة حياة الشاعر، وتغني ديوانه الشعري بعدد هائل من النصوص التي قد تصل إلى أضعاف مضاعفة مما في غيرها من باقي المصادر السابقة الذكر.

ثانيا: المصادر المخطوطة:

يمكن أن نقسم المصادر المخطوطة التي تعنينا إلى أنواع منها: المجاميع، والمخطوطات المهرية، والمخطوطات المجهولة/ المعروفة... دون الوقوف عند عامة أنواع المخطوطات التي يمكن إرجاع كل نوع منها إلى أحد الأقسام النموذجية التي نقدمها كما يلي:

أ - *المجاميع:*

نجد من بين أهم المصادر المخطوطة في المغرب، تلك التي يصطلح عليها بالمجاميع لأنها تضم مجموعة من المؤلفات العربية في

المعارف المختلفة. ومن جميل ما يرد فيها بعض الطرر التي تفيد بطرق معينة في دراسة الشعر الأمازيغي، بل إننا نجد في ثناياها، أشعارا أمازيغية مكتوبة بالحرف العربي، في صفحات تقل أو تكثر. ولكي نثمن أهمية المجاميع بالنسبة لسيدي حمو، نعطي نموذجا عثرنا عليه في خزانة الإمام علي بتارودانت، رقمه 80 م، نسخ فيه الخضر الجراري مؤلفات عربية في الفقه، والطب بالأعشاب وغيرهما من المواضيع...

في الطرة اليسرى من هامش وجه الورقة 103، نقل لما استدركه الفقيه الشهير عبد الرحمان الجشتمي من شعر أمازيغي، وبالضبط قوله: «ومن كلام سيدي حمو بن عبد الله» ثم أورد الغصنين:

ايغ ايڭن أوماضون أرايتيني" نتوب" أرد نكرن

أر ايسكار سايئات نرانين تيدا زرينين

وترجمهما هكذا:

إذا رقد المريض يقول: «أنا سأتوب» حتى يشفى

فإذا قام صحيحا يقترف من السيئات أعظم مما مضى.

إذا اكتفينا بالوقوف في ذلك المجموع المتعدد المخطوطات عند تلك الجملة القصيرة التي تقول: " ومن كلام سيدي حمو بن عبد الله"، سنكون قد وقفنا لنكتشف الاسم المفقود من سلسلة الاسم الشخصي للشاعر، أي " عبد الله " الاسم الذي ينفرد به ذلك المخطوط عن غيره من كل أنواع المصادر والمراجع الخاصة بسيدي حمو مما قرأناه أنه اسم أبيه: "عبد الله"، إذن، فهو: حمو بن عبد الله.

يمكننا أن نقتصر على التذكير بأن المجاميع المغربية السوسية، وحدها مؤلفات لا عد لها ولا حصر، ومن المستحيل على فرد واحد

الإحاطة بها في المكتبات العامة والخاصة داخل المغرب وخارجه. ورغم ذلك، ننتظر أن توصل صدف القراءة في بطونها إلى معلومات وافية، قد تكشف عديدا من الأسرار الغامضة، في حياة سيدي حمو من جهة، وقد تغني المادة الشعرية لديوانه المأمول جمعه من جهة أخرى.

ب - *المخطوطات المهربة:*

استعملنا لفظة "المهربة" لا لتأكدنا من تعمد الأجانب تهريب المخطوطات، بل لنشعر بأهمية ما خرج منها إلى خارج المغرب بشكل من الأشكال...

ومن النماذج التي نراها كافية، تلك التي ذكر «جونصون Johnston في الصفحة 11من كتابه عن أشعار أغاني سيدي حمو Sidi Hammou The songs of أن مكتبة «طوماس بودليان» اقتنت منه مخطوطة تتكون من 32 صفحة، وفي كل صفحة تكتب ما بين 11و 12 غصنا شعريا، باستثناء الصفحة 23 والأخيرة من المخطوطة، ففي كل واحدة منها ثلاثة أغصان فقط.

أول صفحة من هذا المصدر مبدوءة بكتابة البسملة في أعلاها، وبعدها عبارة نسبة الشعر إلى سيدي حمو بين مزدوجتين هكذا: "وللناظم سيدي حمو رحمه الله" ثم الغصنين الأولين:

زوند ايغ شان ميدن تيرمت ياڭورد ايميك
آت ڭيت آدونيت ايڭورانم آيادغ ليغ

وعربناها هكذا:

بمثل ما إذا أكل الناس طعاما، فبقي قليله
أشبه الدنيا، التي لم ندرك إلا أواخرها.

تلك المخطوطة نموذج من المخطوطات المهربة، وتتجلى إحدى آهم فوائدها بكونها رغم قلة أوراقها التي لم تتجاوز ستة عشر ورقة، فإنها حافظت على أزيد من ثلثمائة غصن شعري. وهو وحده عدد يمثل أكثر من نصف كل ما جمعناه من الشعر المنسوب إلى سيدي حمو في الكتب والمقالات المنشورة، منذ أواخر القرن التاسع عشر إلى أواخر القرن العشرين.

تلك حقيقة تجعلنا نترقب الوصول إلى المئات، إن لم نقل الآلاف من الأغصان الشعرية المدفونة في بطون المخطوطات والمجاميع المهربة، ضمنها ديوان قد يكون بخط يمين الفقيه الصوفي الشاعر سيدي حمو نفسه.

ت - *المخطوطات المجهولة / المعروفة:*

لاحظنا أن مجموع ما تعرفنا عليه من أنواع المخطوطات الخاصة بعموم الشعر الأمازيغي، غالبا ما يرد فيها ما يدل على معرفة مؤلفها. بذكر اسمه في أول أغصان القصيدة، راجيا من القارئ أو السامع الدعوة له بالرحمة والمغفرة. أو بالاقتصار على كتابة عبارات تذكر بصيغ مختلفة اسم الناظم...

إذا كان هذا شأن جل المخطوطات الشعرية الأمازيغية، فإننا نستدرك الإشارة إلى مخطوطات مجهولة النسبة كتابة، معروفة الناظم شفويا عادة.

في هذا السياق، نورد مخطوطا، رغم أنه مجهول-باعتبار عدم ذكر مؤلفه بأية صيغة مباشرة، ومكتوبة، فإنه من المشهور نسبته شفويا إلى سيدي حمو الطالب.

المخطوط الذي أقدمه نموذجا: من المخطوطات المجهولة / المعروفة، أطلعنا عليه مالكه في "تارودانت" باعتباره من الوثائق التي ورثها عن أبيه، منسوبا إلى سيدي حمو الطالب.

لما تصفحنا المؤلف، من أوله إلى آخره، لم نعثر في مقدمته ولا في ثناياه ولا في خاتمته على أية صيغة مكتوبة تصرح بأن الشعر الذي بين دفتيه لسيدي حمو الطالب.

لذلك انطلقنا أولا من النسبة الشفوية لوارث المخطوطة كلها، فبدأنا بتسجيل ما نستنتجه من العناصر التي قد تفضي بنا إلى معرفة شيء يفيد، تأكيدا أو نفيا، أو يزيد شكا لا يرجح أمرا.

كانت إحدى الملاحظات، خاصة بما ترسب في أذهاننا من الأشعار ومعلومات أكدت أن بعض «أغصان» - أبيات- تلك المخطوطة المجهولة، سبق أن سمعناها من أفواه الناس منسوبة إلى سيدي حمو الطالب نفسه.

ثم تعددت الملاحظات، وبتعددها بدأنا نميل إلى افتراض أن أشعارالمجهولة المؤلف قد تكون مرجحة لسيدي حمو، وأن خلوها من صيغ النسبة إليه، دليل على أنها ليست إلا له، باعتبار موضوعها الخاص بـ «الحياة الآخرة» موضوع أشهر من نار على علم، وباعتباره لعلم معروف، ولا يعرف إلا النكرة.

شيء آخر يرجح بقوة صحة نسبتها إلى «فقيه»، هو سيدي حمو، ذلك أن العشرات من مقاطعها، التي تشكل قصائد متسلسلة الموضوع الخاص بـ «الحياة الآخرة» بدءا بالموت إلى الدفن والحشر وغيرها من مراحل ما بعد الموت، في تدرج داخل مطولة من مئات الأغصان الشعرية كلها بالترتيب نفسه، تقابل ترتيب مضمون كتاب عربي عنوانه

«الدرر الحسان في البعث ونعيم الجنان» للسيوطي. أي ان المخطوطة الأمازيغية المجهولة هي ترجمة أمازيغية للكتاب العربي نفسه أو لغيره في الموضوع ذاته.

أمر آخر يعزز النسبة، ونقصد الصيغة الفنية الشعرية الأمازيغية الجيدة التي تبين أن مترجمها من العربية، شاعر أمازيغي بارع في شعره وفقيه متمكن من اللغة العربية ذاتها.

هذا الصنف من شعراء الأمازيغية المترجمين قديما، ينقسمون إلى صنفين بارزين: صنف لم يتجاوز في ترجمته مستوى النظم إلى مستوى الشعر. وصنف بلغ قمة الشاعرية صياغة، وفكرة وخيالا.

الفقهاء النظامون كثيرون، ونظمهم لا يبتعد عن أسلوب الفقه أو معجم التصوف، أو عبارات الوعظ. ومن أشهرهم: «أزناگ» و«اوزال» والحاج احمد الجشتمي، والحاج علي الدرقاوي [7] أما الفقهاء الشعراء فقليلون عددا قدماؤهم الذين وصلنا ذكرهم، ولا يكاد يذكر من أبرزهم إلا اثنان: سيدي عبد الرحمان أو مسعود اتيكّي، وسيدي حمو الطالب.

شاعران ممتازان من القدماء ولا يمكن الخلط بين انتاجهما، لأن اتيكّي لم يعد يذكر إلا بمطولة تسمى "الجفرية" تنبأ فيها بنشأة الدولة العلوية قبل تكوينها، وكل من يملك مخطوطتها، يعرف أنها له لا لغيره سواء ذكر اسمه في التملكة أو لم يذكر [8] . ثم له مطولة أخرى، تسمى «فتح افريقيا» [9]، صارت أقل تداولا، وأقل ذكرها له، إلى درجة صارت قاب قوسين من أن تصير مجهولة القائل لولا ما سمعناه من نسبتها إليه

(7) – عمر أمرير: رموز الشعر الأمازيغي وتأثرها بالإسلام، ط. 1، مطبعة مكتبة دار السلام- الرباط- 2003، ص. . 59 -56

(8) – نفسه، المكان نفسه.

(9) – نفسه، ص.. 8

من بعض العارفين بأسرار الشعر الأمازيغي حفظا وإبداعا وتأريخا، من أمثال الأستاذ اليزيد الراضي أحد أعلام الفكر المعاصر في سوس... ثم إن كثيرا مما صار من الحكم التي كانت معروفة القائل- سيدي عبد الرحمان اتيڭي- أضحت مجهولة القائل.

وخلاصة القول إن الشاعر اتيڭي في صياغته وأوزانه، لا يمكن أن يكون مؤلف مطولة الحياة الآخرة"، عكس سيدي حمو ثانيه من الشعراء الأقدمين المبدعين الذي جاءت المطولة على وزن، هو الذي احتكره سيدي حمو في مطولاته، وحكمه، إلى درجة صار الناس يرفضون نسبة أي شعر إليه ما لم يكن على وزنه المشهور.

المخطوطة السابقة التي اعتمدنا عليها قبل اليوم (10) سميناها مخطوطة "التيويتي" نسبة إلى مالكها الذي يؤكد أن ناسخها قبله، سلمها له باعتبارها لسيدي حمو، وهكذا تنسخ المطولة دون ذكر اسم شاعرها، فتعتبر من «المجهول»، ولكن الجهل ليس مقصودا بل من باب النكرة المعروفة.

عدد صفحات مخطوطة التيويتي ثمان وأربعين صفحة غير مسطرة. وتضم كل صفحة ما بين 13 غصنا إلى 15، لتتجاوز مجموع أغصانها الستمائة غصنا ركزت على ذكر موت الفرد ثم تدرجت في وصف ما يلي ذلك من المراحل، بدءا بالدفن في القبر بهذا الترتيب:

1 – مرحلة القبر

2 – مرحلة الملائكة الباحثين

3 – مرحلة أهل السؤال

(10) – عمر أمرير: "الشعر الأمازيغي المنسوب إلى سيدي حمو الطالب"، ص.. 48

4 – مرحلة قيام الساعة

5 – مرحلة بعث الرسول بعد موته

6 – همه الوحيد خلاص أمته

7 – مرحلة زيارة النبي للجنات

8 – مرحلة بعث كل المخلوقات

9 – مرحلة "القدس" في الآخرة

10 – مرحلة اعتذار الرسل للعالمين عن الوساطة

11 – قبول محمد تلك الوساطة

12 – مرحلة الحساب

13 – مرحلة الصراط

14 – رحلة موت الموت

15 – نصف الجنات

16 – رؤية وجه الله

17 – الجنة الثامنة.

المخطوطات النموذجية الثلاثة التي عرفنا بها هنا، تضم وحدها أزيد من ألفي غصن شعري، فكيف إذا أضفنا إليها ما في المخطوطات الأخرى غيرها، مما وصلنا إليه سابقا؛ ومما ننتظر اكتشافه شخصيا أو يكتشفه غيرنا...

إن المخطوطات المعروفة، والمنتظرة الوصول إليها، قد تجعل ديوان سيدي حمو الطالب أضخم ديوان شعري مغربي أمازيغي.

وننتظر أن تمكننا تلك المخطوطات المنتظرة، من التوسع أكثر في

حياة الشاعر سيدي حمو الذي خرجنا من كل المصادر [11] المتوفرة لدينا باعتباره هو "سيدي حمو بن عبد الله، ولد حوالي سنة 1706م في قرية تاغݣالت من أزݣروز في قبيلة تيفنوت. فقيه، وصوفي ينتمي إلى الطريقة الناصرية. تشيَّخ في الفقه والتصوف على علامة عصره، سيدي حساين الشرحبيلي، وبلغ في الشعر الأمازيغي مرتبة "شيخ الشعر" التي لم نعرف سواه بلغها إبداعا وغزارة انتاج عبر الأجيال. ترجم إلى عدة لغات كالعربية، والألمانية، والانجليزية، والفرنسية. عاش إلى آخر أيامه فقيها مدرسا في مدرسة مولاي ابراهيم بالحوز إلى أن مات هناك حوالي سنة 1788م. وأوصى بأن يدفن في قبر يبقى مجهولا كي لا تصير شهرته مزارة تنسي زيارة الشيخ مولاي ابراهيم أمغار.

مفاجأة الخاتمة:

طوال ربع قرن، ونحن نتأكد سنة بعد سنة، من كوننا كنا على صواب، يوم أقتنعنا بقرائن، ومعطيات عززت التأكيد على نشر مطولة «الحياة الآخرة» منسوبة إلى سيدي حمو الطالب، ضمن فصول كتابنا، «الشعر الأمازيغي المنسوب إلى سيدي حمو الطالب»، الذي كان في أصله رسالة جامعية لنيل دبلوم الدراسات العليا.

وتكمن المفاجأة في كوننا هذا اليوم 11 أكتوبر 2003 خلال متابعتنا عرض الأستاذ الحسين جهادي البعمراني- مترجم معاني القرآن إلى الأمازيغية- بأن موضوعه في هذه الندوة الخاصة بـ 'المخطوط الأمازيغي، أهميته ومجالاته" فاجأني بكون موضوع الأستاذ الحسين جهادي البعمراني تناول مطولة "الحياة الآخرة" ذاتها بالتحليل. وزادنا

(11) - صدرت نتائجها في ثنايا رسالة جامعية تقدمنا بها لنيل دبلوم الدراسات العليا تحت إشراف الأستاذ الدكتور عباس الجراري، سنة 1985، وصدرت في الدار البيضاء في كتاب بالعنوان نفسه: "الشعر الأمازيغي المنسوب إلى سيدي حمو الطالب".

استغرابا بكونه اعتبر المخطوط وكأنه لم ينشر قبل. وبلغ الأمر أقصى درجاته، إذ بدأ الأستاذ جهادي يفترض أن تلك الرائعة الأدبية الأمازيغية هي لمؤسس الدولة الموحدية المهدي بن تومرت.

خلال مناقشة العروض، نبهت الأستاذ المحاضر بأن القصيدة التي حللها أمامنا، مرجحا نسبتها إلى المهدي بن تومرت، دلت لنا القرائن التي اعتمدنا عليها قبله بحوالي عشرين سنة، على أنها لسيدي حمو الطالب لا لغيره. وأحلنا الأستاذ جهادي على كتابنا الخاص بـ "الشعر الأمازيغي المنسوب إلى سيدي حمو الطالب"، وهو يعرفه، وشكرناه - في مقدمته - مع الذين ساعدونا في انجازه رسالة جامعية.

بعد حصة المناقشة بربع ساعة تقريبا، ستحدث مفاجأة علمية عجيبة، ذلك أننا قمنا مع غيرنا من الحاضرين خلال فترة الاستراحة، بجولة في رواق المخطوطات الأمازيغية المعروضة في القاعة،.. ونحن نتصفح مخطوطة قديمة، تبين لنا أن المقروء من أبياتها الشعرية هي نفسها من مطولة "الحياة الآخرة" التي نشرناها لسيدي حمو، ونسبها الجهادي إلى المهدي بن تومرت- قبل قليل.

تناولنا المخطوطة، وكل صفحة تؤكد أبياتها أنها هي نفسها مطولة "الحياة الآخرة"، إلى أن أتينا على آخر أبياتها، حيث نجد بعد الشعر، صفحة وقع بصرنا فيها على ما كتبه ناسخها قديما، مبينا أنها للشاعر سيدي حمو الطالب.

وجهنا الأستاذ جهادي الحسين إلى القصيدة، والتملكة، ليطلع عليها ويصحح افتراضه باعتبارها للمهدي بن تومرت، ولكي يسلم مثلنا على أن مطولة "الحياة الآخرة" لسيدي حمو الطالب، كما تؤكد الوثائق الشفوية أولا، ثم أكدتها الوثائق المكتوبة ثانيا.

المخطوطات الأمازيغية في أوربا: مخطوطات مجموعة أرسين روكس بإيكس اون بروفانص نموذجاً

الأستاذ محمد حمام

المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية

كان للأوربيين اهتمام بثقافات الشعوب المتوسطية منذ وقت مبكر، وقد ازداد هذا الاهتمام، ولا سيما خلال القرن التاسع عشر الميلادي، مع تنامي الفكر والمد الاستعماري. وفي إطار التحضير لغزوها واستعمارها، تنافست الدول الأوربية في استكشاف أحوال تلك الأقطار سياسيا واجتماعيا وثقافيا. وقبل ذلك كانت ترسل رحالة عنها لالتقاط الأخبار وجمع أكثر ما يمكن من المعلومات المختلفة. وفي هذا المُخَطَّطِ كانت تندرج سياسة فرنسا بالنسبة للشمال الإفريقي بعد استعمارها للجزائر سنة 1830. ومنذ هذا التاريخ أخذ ضباطها ومستشرقوها في جمع كل ما يتعلق بموروثه الثقافي الشفوي والكتابي. وقد أتيحت للبعض منهم فرصة العثور على بعض المخطوطات النادرة. ولعل أشهر المستشرقين الأوربيين (الفرنسيين منهم وغير الفرنسيين) الذين اهتموا بهذا الباب، المستشرقون ماسيكراي، وموتيلسنكي، وج. شاشت، وكروبي لاروزا، وسموكورزفسكي، وتاديوس ليڤيكي، وإرنست ليڤي بروڤنصال، وهنري باسّي، وغيرهم. وكل هؤلاء جمعوا مخطوطات

مهمة عربية وأمازيغية. ولعل أهم المخطوطات الأمازيغية، تلك التي جمعها البولوني سموڭورزفسكي في أواسط العشرينيات من القرن الماضي في المنطقة الإباضية بليبيا والجزائر وتونس، ونقلها إلى بلده. ويوجد جزء منها حاليا في مدينة كراكوبيا وجزء آخر في مدينة ليڤوف Lwow. ومعلوم أن هذه المصادر استغلها تاديوس ليفيتسكي من بعده في دراساته المشهورة حول الإباضية بالشمال الإفريقي، ونشر بعض النصوص الأمازيغية في مجلة الدراسات الإسلامية سنة 1934 تحت عنوان **«بعض النصوص الأمازيغية غير المنشورة انطلاقا من حولية إباضية مجهولة المؤلف»** [1]، كما نشر سنة 1974 دراسة حول الإنتاج الشعري للشعراء الأمازيغ خلال القرون الوسطى [2]. وهذا المخزون البولوني ما يزال في حاجة إلى من يستكشفه. أما المخطوطات الأمازيغية التي تم ضبطها وجردها في أوربا، فهي المخطوطات المحفوظة بإيكس اون پروڤانص بفرنسا والتي هي موضوع هذه المداخلة.

في سنة 1995، صدر للباحث الهولندي نيكو ڤان دين بوخارت دليل بعنوان: **دليل المخطوطات العربية الأمازيغية: مجموعة روكس باكس اون پروڤانص** [3] يقع هذا الدليل في 126 صفحة، ويضم مقدمتين إحداهما باللغة الفرنسية (من صفحة 7 إلى صفحة 12) والأخرى باللغة الإنجليزية (من صفحة 13 إلى صفحة 18)، وكل واحدة منها تتألف من العناصر التالية:

---

(1) - Lewicki, T. Quelques textes inédits en vieux berbère provenant d'une chronique ibâdite anonyme, in Revue des Etudes Islamiques, 1934, Cahier III, Paris, 1953, pp. 275 - 296.

(2) - Lewicki, T., Quelques observations sur la production poétiqe des Berbères médievaux, in problemy literatur Orientalnykh, 1974, 317 - 325.

(3) - NICO VAN DEN BOOGERT, Catalogue des manuscrits arabes et berbères du fonds Roux(Aix - en - Provence), travaux et documents de l'IREMAN n°18, Aix - en - Provence, 1995.

- وصف لمجموعة أ . روكس

- كلمة حول أسماء المؤلفين الأمازيغ؛

- نظام الكتابة.

وحسب بوخارت، فقد تم إنشاء هذه المجموعة سنة 1972 عقب إهداء الخزانة الشخصية لأرسين روكس (1893-1971) للموسوعة الأمازيغية (Encyclopédie Berbère) وذلك تحت مسؤولية مختبر الأنتربولوجيا وما قبل تاريخ بلدان البحر الأبيض المتوسط بإيكس اون بروفانص.

وكان الراحل أرسين روكس لغويا أمازيغياً وعربياً في نفس الوقت، وعمل بوصفه أستاذاً وإدارياً. ومنذ سنة 1920 كلف بتدريس اللغة العربية والأمازيغية. وفي سنة 1927 عُيِّن مديراً على ثانوية أزرو التي زاول بها عمله إلى غاية 1935 . ومنذ هذا التاريخ إلى سنة 1944 عين مديراً على ثانوية مولاي يوسف بالرباط. وبعد ذلك عين مفتشا للتعليم بالإعداديات والثانويات.

قام بنشر بعض المقالات وبعض كتب التدريس لكن عمله الإداري لم يترك له الوقت الكافي لاستغلال المادة اللغوية المهمة التي جمعها في الأماكن التي أقام بها مدة كالحاجب ومكناس وأزرو والرباط.

ومجموعته الآن، هي في ملكية معهد الأبحاث والدراسات حول العالم العربي الإسلامي التابع للمركز الوطني للبحث العلمي (CNRS) وجامعات إكس- مرسيليا.

ويحتوي هذا المخزون، بالإضافة إلى المخطوطات العربية والأمازيغية، من الخزانة الشخصية لأرسين روكس على المئات

من الكتب الخاصة بالدراسات الأمازيغية والعربية المتعلقة بالتاريخ والأنتروبولوجيا لشمال إفريقيا، ويحتوي المخزون أيضا على الأوراق والملاحظات التي كتبها أرسين روكس بخط يده. كما يضم العديد من الجذاذات اللغوية والمعجمية، وهي في حاجة إلى من يدرسها ويتممها.

مجموعة مخزون روكس

وتتكون هذه المجموعة من مخطوطات أمازيغية وعربية كان أرسين روكس قد جمعها خلال مقامه الطويل بالمغرب منذ أن حل به كجندي سنة 1913 إلى سنة 1956.

وتمثل المخطوطات الأمازيغية في هذه المجموعة الجزء الأهم. ويبدو أن أرسين روكس بذل مجهودات كبيرة خلال عقود من أجل اقتنائها. ويتضح من بعض المعلومات المسجلة عليها أن البعض منها قد اقتناه عن طريق الشراء. وتشكل أهم المجموعات المعروفة لحد الآن لكونها تحتوي على أكبر عدد من المخطوطات والنصوص الأمازيغية.

وهذه النصوص الأمازيغية مكتوبة بالحرف العربي مع تكييف للصواتية الأمازيغية، هذا ما يفسر تسميتها من طرف أرسين روكس «بالمخطوطات العربية الأمازيغية»، وأغلب تلك المخطوطات، باستثناء بعض المخطوطات القليلة التي هي من الأطلس المتوسط، كتب بلسان أهل سوس، أي تشلحيت، (بمناطق سوس والأطلس الصغير).

ولتسهيل مأمورية قراءة هذه المخطوطات، كان أرسين روكس كلما اقتنى أحدها، كان يكلف أحد أعوانه من الأمازيغ بالنسخ بطريقة واضحة في دفتر خاص. وبعد ذلك كان يقوم بدراسة المخطوط مسجلا ملاحظاته وتساؤلاته في الهامش حول نقطة معينة، وبعد ملاحظاته تأتي الملاحظات الشخصية لعونه التي تشرح بعض القضايا النحوية

واللغوية التي كانت مطروحة. وخلال عشر سنوات ما بين 1940 و1950، استفاد أرسين روكس من تعاون أربعة خبراء أمازيغ هم على التوالي:

- سي إبراهيم الكونكي من أشتوكن؛
- سي الحسن البونعماني من أيت ابرايم؛
- سي محمد الخصاصي من لخصاص؛
- سي عثمان بن البشير من اڭدميون.

وقد قام السي براهيم الكونكي أشتوك، المشار إليه سابقا، بنسخ معظم هذه المخطوطات. ووضع ترجمة لنفسه توجد في المخطوط رقم 135a، وقد أبرز فيها أنه ازداد سنة 1905، وعمل إلى جانب أرسين روكس منذ سنة 1944 . والنسخ التي نسخها له، ما تزال في أغلبيتها محفوظة مع المخطوط الأصلي.

و يتوزع هذا الرصيد من المخطوطات الأمازيغية بين أجزاء مجلدة وأخرى مبتورة وأوراق بدون غلاف. ومن جملة المخطوطات المثيرة للانتباه نظراً لحجمها المخطوط رقم 60 المؤلف من 586 صفحة، وهو ترجمة للسيرة النبوية المشهورة لابن هشام، والمخطوط رقم 64المؤلف في الفقه الإسلامي بالأمازيغية بعنوان **تافوكت – ن – الدين (شمس الدين)** لصاحبه على أوحماد الالغي، والد العلامة محمد المختار السوسي الدرقاوي، المتوفى سنة 1910. وجدير بالإشارة إلى أن هذا المخطوط حرر على شكل قصيدة شعرية تتألف من عشرة آلاف بيت. وهذا النص هو ترجمة من العربية إلى الأمازيغية لكتاب الأمير لصاحبه أبي عبد محمد بن محمد بن أحمد المصري الملقب بالأمير المالكي والمتوفى سنة 1232هـ، وهو كتاب في الفقه المالكي.

وقد نشر منه السيد رضى الله عبد الوافي بن محمد المختار السوسي الربع الأول سنة 1407هـ/ 1986. ومهما يكن، فهذا المخزون يضم ما يزيد عن مائة وخمسين نصا أمازيغيا.

أما المخطوطات العربية الموجودة ضمن هذه المجموعة فهي غير متجانسة من حيث موضوعاتها العلمية. غير أن البعض منها هي ذات قيمة كبيرة منها نسخة جميلة من المصحف الكريم تعود إلى القرن 17 أو 18م، ونسخة أخرى من كتاب النجم الثاقب للأنصاري تعود إلى سنة 983هـ/ 1575م، وهي غير كاملة، ونسخة من كتاب إيضاح المسالك للونشريسي (مخطوط رقم 126) تحمل تاريخ 870 هـ / 1465م، وكذا طبقات الحضيكي (مخطوط رقم 11)، ومخطوط لميارة (مخطوط رقم 486 بدون تاريخ) وآخر للقلصادي (مخطوط رقم 115 يحمل تاريخ سنة 849 هـ/ 1445م). وهذه المخطوطات كالمخطوطات الأمازيغية تتوزع هي الأخرى بين أجزاء ضخمة مجلدة وأخرى مبتورة وأوراق مبعثرة.

أما الوصف الدقيق لهذه المجموعة فيغطي قرابة ثمانين صفحة، يعرض فيها المؤلف لمائة وخمسة وتسعين مخطوطا التي يختزنها هذا الرصيد. وأورد نفس الباحث معلومات تقنية عن كل مخطوط تهم نوع الكتابة وعدد الصفحات واسم المؤلف إذا كان معروفاً، وتاريخ النسخ أو الكتابة. وتتوزع هذه المخطوطات من حيث لغتها على النحو التالي:

114 – منها أمازيغية؛

24 – منها مزدوجة عربية أمازيغية؛

57 – منها عربية.

ولم يفت الباحث الهولندي أن يصنف تلك المخطوطات من حيث ترتيبها الزمني الذي جاء على الشكل التالي:

عشرة مخطوطات تعود إلى الفترة الواقعة بين 1400و1700م، أقدمها يحمل تاريخ 3محرم 849هـ/ 11أبريل 1445م، ويتعلق الأمر بمخطوط صغير في شرح الحساب لمؤلفه علي بن محمد القريشي القلصادي المتوفى سنة 891هـ/ 1486كتبه بخط يده. أما أقدم مخطوط أمازيغي خلال هذه الفترة فيعود تاريخه إلى بداية القرن السادس عشر وهو للحسن بن داود التغاتيني الذي يذكر فيه سيدي خالد أو يحيى الكًرسيفي، وهو صوفي أمازيغي توفي سنة 856 هـ/ 1452م. وقد أشار إليه المختار السوسي في كتاب سوس العالمة (ص. 178) وتحتوي هذه المجموعة على ما يزيد عن خمسة عشر مخطوطاً أمازيغيا وعربيا تعود إلى فترة 1700 - 1800م. في حين أن ما يقرب من ثلاثين مخطوطاً تعود إلى فترة 1800 -1900، أما الباقي وعدده سبعة وثلاثون مخطوطاً فيعود إلى ما بعد سنة 1900.

أما المجالات التي تتناولها المخطوطات الأمازيغية فهي متنوعة تهم المجال الديني بالدرجة الأولى، ولكن بعضا منها يهم مجالات أخرى كاللغة والطب والمجال الاجتماعي. ولعل أبرزها على سبيل المثال في الميدان الديني مؤلفات إبراهيم اوعبدالله أزناگ المتوفى سنة 1005هـ/ 1597م ومحمد اوعلي او براهيم اوسوس أوزال المتوفى سنة 1749 /1162، ومحمد اوعبدالله أوبوشيكر أكًمار أبا عقيل، وعلى اوحماد او إلغ، والد الأستاذ محمد المختار السوسي سالف الذكر.

وخلاصة القول، فنحن أمام مجموعة من المخطوطات الأمازيغية المغربية الغنية التي تحتاج إلى العناية والاهتمام بها أكثر، مثل ما فعل جامع هذه المخطوطات الفرنسي أرسين روكس وخلفه الهولندي فان دين بوخارت في نهاية القرن العشرين، إذ قام بجردها وتصنيفها تسهيلا لمأمورية الباحثين.

ملاحظات أولية حول
مجالات المخطوط الأمازيغي

الأستاذ محمد مستاوي

باحث، الدارالبيضاء

لي الشرف أن أشكر المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية المنظم لهذا اليوم الدراسي الخاص بإسعاف محتضر، إن صح التعبير يوم أريد له أن نبحث عن المخطوط الأمازيغي المهمش، أولا من طرف الوزارات المتعاقبة على الشأن الثقافي في وطننا منذ الاستقلال وإلى الآن، ثم البحث عن أهميته وخصوصياته ثانية.

أشكر السيد مدير مركز الدراسات التاريخية والبيئية الذي وجه إلي الدعوة كباحث ميداني، أبتليت بالنبش المبكر في كل ماله علاقة بالثقافة عامة، الأمازيغية بصفة خاصة، قلت النبش الميداني لئلا تنتظروا مني بحثاً أكاديميا ممنهجاً، قد تكون التلميحات والإضاءات التي أتيت بها، مناجم ولو صغيرة تساعد الباحث الأكاديمي، بل والمركز المنظم للندوة في متابعة النبش في هذا الموضوع الواعد بإغناء الحقل اللغوي والثقافي والتاريخي.

اقترحت على اللجنة المنظمة أن تكون مداخلتي المتواضعة كأرضية للنقاش تحت عنوان:

ملاحظات أولية حول مجالات المخطوط الأمازيغي.

يعتبر المخطوط عامة والأمازيغي خاصة، مرجعاً تاريخيا ثقافيا لغويا.

في البداية، نعترف بندرة المخطوطات وصعوبة الإطلاع عليها لكونها ملك للخواص الذين ورثوها متفاوتة من حيث الكم والكيف بين عائلة وأخرى، وبين زاوية وأخرى، مع ملاحظة شبه عامة هي أن أغلبية من ورثوها كأبناء الفقهاء ممن كتبوا هذا المخطوط يعتبرون أميين للأسف.

على رأي المثل الأمازيغي:

طالب ءورار ئساغ ءاغيول ءارت نيت ئتّاروا

الفقيه لا يشتري حمارا لكونه يلده.

قياسا على كون الأغلبية يهملون تربية أبنائهم، هذه الشريحة من الخلف لا يشبهون السلف، فهم يحرصون على أن لا يطلع أحد إلا الأرضة على المخطوط كإرث. أضف إلى هذا ما تعرضت له بعض الخزانات من نهب في بداية الاستقلال وبعده بسنوات من طرف استغلوا نفوذهم الوزاري السلطوي. على سبيل المثال لا الحصر، تم نهب نصف خزانة زاوية تامڭروت إقليم زاڭورة بعد إحصائها من طرف العلامة المرحوم المنوني. ونفس الشيء بالنسبة لخزانة زاوية تيمڭيدشت بإقليم تارودانت وألحق بخزانات الخواص، والتي كانت تحتوى على مخطوطات أمازيغية وعربية أمازيغية، كما هو شأن الأرجوزة العربية الأمازيغية التي عثرّتُ على نسخة منها بتامڭرورت، وعلى مخطوطات دينية كمخطوط سيدي ابراهيم اوعلي أوزال وقصة يوسف وغيرها.

لكن كيف انتقلت المخطوطات إلى أغلبية الزوايا؟

أثناء الحروب القبلية وبعد معارك ضارية والهجوم الاستعماري، تم نقل هذه المخطوطات خشية إتلافها ولذلك تم نقلها بما في ذلك عقود ملكية الفدادين، إلى أقرب زاوية لقداستها، كما كان الفارون يلتجئون إليها كذلك. وبعد الاستقلال هناك من استرجعها، وهناك من تخلى عنها، أما الزوايا احتفظت بها مهملة دون مراقبة ودون توفير مواد واقية لها من الأرضة، وهناك من باعوها بأبخس الأثمان لمن احتفظوا بها في خزائنهم الخاصة، ومن هجروها خارج الوطن وتلك طامة كبرى... هذا يستوجب في نظري:

اعتبار المخطوط وثيقة ثقافية لغوية تاريخية وطنية إنسانية، ليست ملكا خاصا لمن يمتلكها، مما يستوجب تأسيس خزانات خاصة بالمخطوط بمعدل خزانة لكل جهة أو عمالة على الأقل بموظفين متخصصين.

لا تسمح الوضعية الحالية لمخطوطاتنا كما ذكرت، لأحد بالاستفادة منها، حتى الطلبة يجدون صعوبة الإطلاع على مخطوط يتعلق بدراستهم الجامعية، إلا بعد الاستعانة بهذا الوسيط وذاك. أتذكر رفض إعارة ديوان شعر مخطوط للشاعر العلامة محمد بن الطاهر الافراني لطالب مكفوف من طرف أحد أبناء الشاعر، وسبب الرفض أن أحد الباحثين الكبار بالجنوب لا داعي لذكر اسمه، استعاره من الأسرة بعد أن ترك وصلا وتوفى رحمه الله دون إعادته لهم مما اضطر الأسرة إلى أن تبحث عن من يشتريه من ورثة من أعاروه له، وفعلا أتى به بعدما دفع الثمن. في هذه الحالة هل تلوم هذه الشريحة ؟ طبعا، لا.

ذهبت وملأت لهم وصل الثقة، نيابة عن الطالب وأتيت بالديوان

المخطوط وأعدته للمعار مصحوبا بمجلدين من البحث، هذا نموذج فقط لما يماثله.

وبالتالي لابد من توفير عنصر الثقة، وطريقة الحوار، وإقامة معارض للمخطوطات في هذه العمالة وتلك، مع التشجيع المادي والمعنوي لمن يمتلك مخطوطات نادرة معتنى بها، بل وتنظيم مسابقات من طرف المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية وجهات أخرى معنية، كوزارة الثقافة ووزارة الأوقاف بدءا بإحصاء وطني للمخطوط الأمازيغي والمجالات التي تناولها، ثم إبراز أهميته وخصوصياته.

بعد هذه الملاحظات الأولية، حول المخطوط الأمازيغي وحول صعوبات الإطلاع عليه، ماذا عن المجالات التي تناولها المخطوط الأمازيغي أو من تركوه مخطوطا؟.

بإيجاز، تتناول المجال الديني، شعرا ونثرا: إذ أن الذين تركوه كانوا فقهاء تخرجوا من المدارس العتيقة، وعز عليهم أن ينفردوا بما تلقوه باللسان العربي، من عبادات وأحاديث ومن قصص الدينية. في هذا المجال نجد الكثير الكثير كما وكيفا، كمخطوط محمد بن علي بن ابرهيم الهوزالي الذي تم تحقيق وطبع جزء منه، ولا يزال الجزء الثاني بحر الدموع مخطوطا:

- شرح الدامودورتي.
- متن الميراث بالأمازيغية.
- ابن عاشر.
- قصة يوسف...
- مخطوط في علم الفلك.

قصائد عدة على شكل ابتهالات صوفية نجدها عند أسرة أيت حساين بطاطا وبجهات أخرى.

قصة الأمير، مخطوط تركه مولاي علي الدرقاوي، وتم طبعه من طرف أحد أحفاده إلى جانب مخطوطات أخرى في نفس الموضوع.

طبعا هذه إشارات فقط، لما تزخر به خزانات خاصة في المجال الديني بحاجة، كما ذكرت، إلى إحصائها للوقوف على أهميتها وخصوصياتها.

مجال آخر وقفت عليه هو المخطوط العربي الأمازيغي.

قصيدة العلامة أحمد بن محمد الرسموكي، التي كان الفقهاء يقومون باستنساخها للمعجبين بها لخصوصياتها المتميزة بالمزاوجة بين اللغتين العربية والأمازيغية.

بسم الإله في الكلام ئزوار   وهو على عون العبيد ئزضار.

احتفظت هذه القصيدة بأكثر من ثلاثة مائة كلمة أمازيغية، بما في ذلك كلمات كثيرة شبه مندثرة اختفت في الخطاب اليومي، وهي حاليا مطبوعة.

وهناك قصائد على نفس المنوال وهي لا تزال مخطوطة.

نماذج في المجال الديني

في مجال المخطوط الديني، يمكن الاستشهاد بنماذج قليلة عن مؤلفات كثيرة مخططة بخطوط رائعة وجميلة وأحيانا مذهبة أو ملونة بالأحمر والأخضر.

في كتاب الحوض لسيدي محمد بن علي الهوزالي الذي نأمل أن يسمح الوقت بعقد يوم دراسي لمؤلفه هذا يقول:

ئنا ئسمڭ ئحتاجان ءاداس ئعفو لباري

محمد اوعلي ءوبراهيم ءوسوس ءاوزالي

بسم الله الرحمان الرحيم نبدأ ييس

نضفو راس ءاصلاه ءوسلام على نبينا محمد رسول ديانت ئنا بعاني

تسن ءارياد ءورسول ئكي لمخطووط ئتيوراس تيرا نوزمز لمطباعة مقار ئغاما بحر الدموع

ءورتا ئتيوري غ المغرب نان ئتيوراغ هولاندا

غ لحوض ئناكيس لمخطوط

لعيلم ئڭنوان ءاغ ئلا ءورئلي غ واكال

يان غورتلي لهيما يتورين ءورتيديومزي

متائلي غ واكال كويان ئفهمني

غ بحر الدموع ئنا فتايرى باباس د ئناس ن ءوفڭان

افرح باباك ءو لاماك ليخ تلولت ءابنادم

اسلض فلاسن لباري تعالى لحنيت ءاك ربون

حو بونك نيت ءورك حاشان مقار تكيت لخنزي

ئغاتالات غضبناك ءاسر تفسات فر حنداغ

ئني توضننت ءارلان حزن كسوضن لمجال

ذا تفزماك نغ باباك طعم ءار ءاسر ئنغدي

ييلي تضفي ڭيناكتين غمينك منيد مكادي

ءاك ئسخر مولانا ماك ئسمكيلن ءازال

ءو لاييض تاسانسن ءاك ئتربون ءورد تيغرادي

نموذج ثان من شرح الميـراث للفقيه
محمد بن محمد بن عبد الرحمان البوشواري

دسات غتوتمين ماس نيان دز اوج نسي

د - ئليس د- ئليس ن ييوس يات نيغ ءوكاري

د -ءولتماس د- جداس دماس نماس ءو لابابا سي

مقار باعدنت د يان ئسد رفين ئسمكنيس

نموذج ثالث: قصيدة الفقيه سيدي

محمد بن محمد نايت حساين في مدح الرسول ﷺ

نعوول ءانتيدوغ ئزاليون ءو لا غواضان ءايا حبيب سدا رون ئشايانخ ءومارڭ نون

ءامارڭ ن لحباب ءايسالان يان نغد كتين

ئغان سرس ئساول ءاوين رجا سدمنسن

ءورات سول ئسيحيل ءوزاواڭ د لبعد ءو لافاد

دلحفانو غاراس ئهاج ءارد لكمن ذارسن

قصيدة طويلة ورائعة اعتاد طلبة المدارس العتيقة ترتيلها جماعيا وبلحن رائع خاصة بطاطا ونواحيها.

مجال ثالث: تالوحت ن تسليت

هي، العقد الخطي الذي يسجل فيه والد العروسة جهاز العروسة، من ملابس وحلي وغيرها، دينا على العروس يسترجع منه حالة الطلاق. والطلاق نادر في المنطقة التي اطلعت فيها على بعض عقود الجهاز ناحية إيغرم إقليم تارودانت كنموذج؛ نجد على سبيل المثال لا الحصر جهازاً أو كما سموه لوحة عائشة بنت احمد من دار والدها بدوار مكزارت إلى دار زوجها بدوار اغيرن وامان حوالي 1950، يمكن تسميته المخطوط العربي الأمازيغي لأن الفقيه يكتب العقد بالعربية وأسماء الملابس والحلي في معظمها بالأمازيغية، لكونه يجهل أسماءها بالعربية

ونجد الآتي في العقد المشار إليه وما يماثله:

أفاڭو ئفوڭا - ءاملحاف - ثملحافن - ءحايك ءاسدوى - تاوكايت - تاسينيست لمحارم - لمحرمة - تاملولت - تيشدودا - تاسفيفين - ئسرسلن - تابيالين - ئزبڭان - لخواتم - لقطيب - تيزرزا - تانبالين - تيفالاتين شوايات - تيسمرين - ئدوكان - تاوكايت - تيفليت - تيزرزان - توكا تارداحت - ءامرواس - تاڭران - وناس - ءاڭان وناس لقنديل ن واناس - تيكيت - تازولط - تازدورت د - ماڭيس.

فقط نماذج للكلمات الأمازيغية التي يتضمنها المخطوط الذي يطلقون عليه تالوحت ن - تسليت أو عقد الجهاز الخاص بالعروسة.

مما يستوجب البحث عن هذا النوع من المخطوطات كمجال يختزن كلمات أغلبها، كما ذكرت، غير متداول، غريبة في موطنها منسية في طريقها إلى الاختفاء الشفوي، مما يستوجب إنقاذها بالجمع والتدوين، مع العلم أنها تختلف من عقد إلى آخر ومن منطقة إلى أخرى.

من مجالات المخطوط الأمازيغي كذلك:

1 - عقود الملكية للأرض:

أكثر المخطوطات هي تلك التي تحتفظ بها الأسر تلك التي يتوارثها الأبناء عن الآباء عن الأجداد ليتوارثها الأحفاد عن الأحفاد، إنها عقود ملكية الأرض والماء.

ما يهمنا في هذا النوع من المخطوط، هو ما تحمله من أسماء الأشخاص والأماكن والحدود، من ذلك، على سبيل المثال لا الحصر.

ئسو ضوفن نس حدودها، نجد تيغرمت - تاركَانت - تالوزت - ئغزر ءافاسيي - ءازلماض - ءاضونونزار - تاغولت - تيسيرت الخ...

تمكن أهميتها طبعا في الحفاظ على أسماء أمازيغية للزمن والمكان وأسماء الأشجار والاتجاهات الخ... مما يستوجب اعتبارها مجالا من مجالات المخطوط الأمازيغي. كما تحتفظ هذه العقود المخطوطات على أسماء الأشخاص التي كانت تميز جهة عن أخرى وبالتالي أسماء أعلام أمازيغية ولو نسبيا: بلعيد - همو - بلقاس - انفلوس - اكيدر - ءاكَمار - باها - محند - حجو - هرو - إطو الخ...

وعندما يتعلق المخطوط باتفاقيات توزيع مياه السقي، سنجد مصطلحات أخرى منها تاناست - تيزوارن - تاكَزين - وْافال ن تافوكت - ءامحيز الخ.

2 - الأعـــراف:

هناك نوع من المخطوطات تسمى الأعراف أو الألواح المتعلقة بنُظُم تسيير الشأن العام للقبيلة والقرية، تتحدث عن حد القتل وازواگ وعن نظام إنفلاس وعن الأحكام التي يصدرونها.

تتحدث مثلا عن حد القتل الغير العمد ازواگ وعن السرقة أو محالة سرقة متاع الغير، وعمن أطلق رصاصة، من سل سكينا، ومن أذى أحداً أو شتمه يذبح بقرة. طبعا، هناك مجلس يسمى أيت ربعين، من عارض قرار انفلاس.

في هذه المخطوطات سيجد الباحث أنها معربة لكنها محتفظة بكلمات أمازيغية أصيلة.

وقبل أن أختم مداخلتي هاته، أقترح ما يلي:

1 – اعتبار المخطوط الأمازيغي، كغيره، وثيقة ثقافية لغوية تاريخية وطنية إنسانية ليس ملكا خاصا لمن يمتلكه؛

2 – تأسيس خزانات خاصة بالمخطوط بمعدل خزانة لكل جهة أو عمالة على الأقل مع تكوين موظفين متخصصين، بل وإحداث مصلحة المخطوط بوزارتي الثقافة والأوقاف، إضافة إلى المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية؛

3 – توفير عنصر الثقة وتحديد طريقة للحوار مع الجهات المتوفرة على المخطوطات؛

4 – إقامة معارض للمخطوطات في هذه الجهة وتلك، في هذه المؤسسة التعليمية وتلك، من المؤسسة الثانوية إلى الجامعية؛

5 – تخصيص جوائز من طرف المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية وجهات أخرى معنية، كوزارة الثقافة ووزارة الأوقاف، لمن يمتلك مخطوط مميزا بأقدميته والعناية به؛

6 – العمل على إحصاء وطني للمخطوط الأمازيغي وتسجيل المجالات التي تناولها وأهميتها وخصوصياتها.

آمل أن تكون مساهمتي المتواضعة هاته مساهمة قد تفيد من سيستمر في البحث، لأن موضوعا كهذا بحاجة إلى باحثين متنقلين بمساهمة الدوائر المسؤولة، وهذه بداية واعدة باكتشاف مناجم معرفية كانت مغلقة، ساهم بها من حملوا أقلاما من قصب والسمخ، أضاءوا بقنديل زيتي أو ضوء الشمس والقمر.

مساهمة أرَّاتْنْ - الوثائق العائلية-
مقدمة في دراسة تاريخ المجتمع بسوس

الأستاذ عبدالسلام أمرير

باحث، تزنيت

يصطدم الباحث في مجال التاريخ الاجتماعي للبادية المغربية بقلة المادة العلمية المبثوثة في مؤلفات المؤرخين والجغرافيين، فيضطر إلى الاستعانة بمصادر متنوعة، كالنوازل والوثائق المخزنية ودواوين الزوايا...

وفي هذا الإطار، فإن البادية الأمازيغية بمنطقة سوس، تتوفر على تراث كبير من الوثائق والمستندات العائلية - أرَّاتْنْ - التي يمكنها أن تُستَغَل كمصدر للمادة التاريخية المتنوعة. ورغم ذلك، فإنها لم تحظ بعد بما تستحقه من العناية من لدن الباحثين.

فما هي طبيعة هذه الوثائق ؟ وكيف سيستفيد منها الدارس في مقاربة تاريخ المجتمع ؟

الاسم :

تستعمل كلمة - أرَّاتْنْ - للدلالة على المستندات العائلية التي توثق المعاملات الاجتماعية والاقتصادية للأسر. وتضم مجموعة من العقود المتنوعة المرتبطة بالأحوال الشخصية والمنازعات والتنظيمات العرفية والرسائل...

إن استعمال كلمة - أرَّاتْنْ - التي تعني في الأمازيغية: كل ما هو مكتوب، للدلالة على شيء محدد، وهي الوثائق العائلية، يجد تفسيره على ما يبدو، في كونها تضم مواضيع متباينة، قد لا يجمع بينها سوى كونها مكتوبة.

ولفهم العلاقة الوطيدة بين ممارسة الكتابة - تيرّا - وتوثيق المعاملات - أرَّاتْنْ - يمكننا أن نعتمد على التراث الشفوي، وخاصة منه المثل المتداول: (ايغا نطّصّا أر نتّارا، ايغا نالاًّ أر نسَّاقرا)، معناه الحرفي: عندما نضحك نكتب، وعندما نبكي نقرأ. والمقصود بهذا المثل أن المتعاملين عندما يتفقون على عقد تعاملاتهم، فإن اتفاقهم يكون في جو من التفاهم والصفاء، وعليهم أن يوثقوا ما اتفقوا عليه كتابة، حتى إذا وقع سوء تفاهم بينهم وحل النزاع محل التوافق، فما عليهم إلا أن يعودوا إلى الوثائق التي سبق لهم أن كتبوها لحسم النزاع عند قراءة فحواها.

وتُعَرف (أرَتْنْ) كذلك مَجازاً بـ: (تيفاوت) أي الضوء، أو النور، لكونها تنير الطريق أمام القاضي للفصل بين المتخاصمين ومعرفة صاحب الحق [1].

ونلاحظ أن هناك تكاملا بين دلالتي كل من (أرَّاتْنْ) و (تيفاوت)، فكلمة (أرَّاتْنْ) توضح أن ما يميز الوثائق العائلية هي خاصية الكتابة، مما يصنفها في مكانة متميزة في مجتمع يمارس ثقافة شفوية بالأساس. وكلمة (تيفاوت) تبرز وظيفة الوثائق العائلية المتمثلة في المساعدة على حسم النزاعات ومعرفة الحقوق والواجبات.

---

(1) - محمد مستاوي، تيفاوين، الجزء الخامس، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1991، الصفحة 6.

الوعاء:

تدون (أرَّاتْنْ) على الألواح الخشبية والورق وفي حالات قليلة على الرق.

• الألواح الخشبية والأعواد: عرفت منطقة سوس، وخاصة جبال الأطلس الصغير، تدوين بعض العقود على الأعواد الصغرى والألواح. ومن المعتاد تخصيص الأعواد لتدوين الوثائق العدلية والألواح للقوانين العرفية المحلية [2].

يرتبط طول الألواح الخشبية بطول النص المراد تدوينه، بينما تبقى أشكالها ثابتة على العموم: مربعة، أو مستطيلة. أما الأعواد- وهي الأكثر انتشاراً- فإنها تُتَّخَذُ من سِيقَان الدفلى. ويكون لها شكل اسطواني في الغالب. ويفضل المتعاملون أعواد الدفلى لخفتها، ولمقاومتها للأرضة، إضافة إلى كونها تساعد على اندماج عميق للصمغ في الوعاء [3].

يتميز استعمال الخشب لتدوين (أرَّاتْنْ) بالخصائص الآتية:

■ سهولة الحصول على الألواح والأعواد مباشرة من الطبيعة، دون الحاجة إلى شرائها؛

■ إمكانية التمييز بين الوثائق باستعمال علامات خاصة، ذلك أن من لا يحسن القراءة من السكان يعمد إلى إحداث علامات على الألواح على شكل ثقب أو «أذناب» أو أشكال هندسية محفورة. هذه العلامات تيسر له التمييز بين مضمون كل عقد. وعندما يدخل في نزاع ما، فإنه يقصد الوثيقة التي يريد الإدلاء بها، ويتعرف عليها من ضمن كل الوثائق

(2) - محمد المنوني «علم المخطوطات والتحقيق العلمي» المخطوط العربي وعلم المخطوطات، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 33، الصفحة 22.

(3) - معلومات سمعتها من الأستاذ جهادي الحسين

التي يملكها، دون أن يضطر لإحضار من يتقن القراءة والكتابة ليطلع على مستنداته التي يعتبرها أسراراً لا تكشف، غير أن استعمال الخشب تعترضه بعض السلبيات، من أهمها:

- أن الألواح تتأثر بعوامل الزمن بقدر كبير، مما يجعلها صعبة القراءة مع مرور السنين، إذ ذاك يعمد البعض إلى حَكِّها بالبصل لتيسير قراءتها، لكن الحروف تظهر لفترة قصيرة فقط لتختفي بعد ذلك وتنمحي أكثر؛

- يتطلب حفظ الألواح احتياطات كبيرة ومجهودات مضاعفة، نظراً لثقلها، وكبر حجمها، ولما تشغله من حيز مكاني هام، ولقابليتها للإحتراق.

الورق:

عكس الألواح الخشبية التي يقتصر انتشارها على الأطلس الصغير في اتجاه الجنوب، فإن الورق يستعمل في كل المناطق السوسية، وخاصة في جبال الأطلس الكبير التي لم تعرف،على ما يبدو، تدوين العقود على الألواح والأعواد.

يمكن للورق أن يصمد لقرون عديدة دون أن تنمحي خطوطه وكتاباته، ويتميز من جهة ثانية بسهولة المحافظة عليه؛ ذلك أن الوثائق المكتوبة على الورق يمكن طيها ولفها بطريقة خاصة، ثم وضعها في تجويف القصب، وبالتالي فإن الحيز المكاني الذي يأوي عشرات الوثائق الورقية، هو نفسه الذي يصلح لوضع وثيقة واحدة مكتوبة على العود أو اللوح.

حفظ أرَّاتْنْ:

يتم وضع (أرَّاتْنْ)، سواء كانت مكتوبة على الرَّق، أو على الورق، أو

الألواح، في أواني من الخزف المحكمة الإغلاق، أو توضع في قفاف منسوجة من الدوم أو سعف النخل، يتم تعليقها في السقف لتبقى بعيدة عن متناول الفئران.

ولتجنيب (أرَّاتْنْ) مخاطر الحريق والسرقة، فإنها لا تحفظ في المنازل، وإنما توضع في المخازن الجماعية - إيكودار- مع الحبوب والأسلحة والأزياء والحلي وكل الأشياء الثمينة.

ذلك أن لهذه المؤسسات أعْرافاً وتنظيمات تحميها من السرقة ومن اندلاع الحرائق (4).

كُتَّابُ (أرَّاتْنْ) :

عادة ما تكتب (أرَّاتْنْ) في البوادي من طرف (طّلبا)، أي حفاظ القرآن الذين يشارطون في المساجد، لإمامة الصلاة، وتعليم القرآن للأطفال. ومن بينهم من لا يتقن اللغة العربية، ورغم ذلك فهو يقرأ ويكتب ويفسر مختلف العقود التي تكتب بهذه اللغة، ويمكن تعليل هذا الأمر بتداخل ثلاثة عوامل:

1- انتشار ما يمكن أن نسميه بثقافة (أرَّاتْنْ)، ذلك أن أغلب السكان، وإن كانوا لا يتقنون اللغة العربية، فإنهم يحفظون عن ظهر قلب أهم الصيغ والتعابير التي يتردد استعمالها في عقود مختلف المعاملات؛

2 - يتلقى (طّالب) عن أساتذته مادة دراسية تسمى في بعض الأماكن (تاوتّاقن)، وهي عبارة عن نماذج لمختلف التعاملات التي تتوفر

---

(4) - انظر :

- Montagne R., « Un magasin collectif de l'anti-atlas : l'Agadir des Ikounkas», Hesperis, T.IX, 1929, pp. 145 - 258;

Jacques - Meunier, Dj. Greniers citadelles au Maroc, Arts et Métiers graphiques, Paris 1951.

فيها شروط تحرير العقود، يحفظها الطالب عن ظهر قلب. وبعد ذلك، عندما يريد كتابة أي عقد، فإنه يكتفي باستظهار النموذج الذي سبق له أن تلقاه، ثم يقوم بإضافة أسماء المتعاملين وتاريخ المعاملة ومكانها...

3 - تتوفر مجموعة من المخطوطات التي تشكل نوعا من المعاجم اللغوية العربية الأمازيغية، إنها عبارة عن منظومات موجهة للقائمين على كتابة العقود في البوادي ممن لا يفهمون اللغة العربية. وتشرح لهم الألفاظ التي يحتاجون إليها في هذا الصدد بمُرَادِفَاتِها الأمازيغية (5).

الفترة الزمنية (أرَّاتْنْ)

انطلاقا مما تمكنا من الإطلاع عليه من وثائق، يمكننا أن نحدد الفترة الزمنية التي تغطيها (أرَّاتْنْ) بين القرنين الرابع عشر والتاسع الهجريين. كما يمكن تشبيه توزيع (أرَّاتْنْ) خلال هذه الفترة بشكل هرم مقلوب قاعدته المتسعة تبدأ من القرنين الرابع عشر والثالث عشر الهجريين، نظراً للكم الهائل من الوثائق التي أنتجت خلالهما، ويضيق الهرم عند القرنين الحادي عشر والثاني عشر، وتزداد حِدَّةُ قمته خلال القرنين التاسع والعاشر، لتصبح مغلقة في القرن الثامن الهجري (6).

(أرَّاتْنْ) وكتابة تاريخ المجتمع:

يمكن دراسة موروث (أرَّاتْنْ) من جوانب متعددة: فقهية وقانونية،

(5) - محمد المختار السوسي، خلال جزولة الجزء الثالث، ص. 164-166.

(6) - صور ابراهيم أبو الصواب عمر المخطوطات عموماً بسوس على شكل هرم مقلوب، قاعدته المتسعة تبتدئ من القرن الرابع عشر الهجري حتى يصل إلى قمة مغلقة تماما في القرن الخامس الهجري.

ابراهيم أبو الصواب: دراسة بيليوغرافية لبعض المخطوطات الموجودة بالمكتبات العامة والخاصة بتارودانت، تارودانت حاضرة السوس، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادير [صفحة 144]

وأدبية. كما يجد فيها الباحث مادة تصلح لكتابة تاريخ المجتمع بخصائصه الاقتصادية والثقافية والاجتماعية والسياسية.

سنحاول أن نعطي نَمُوذَجاً يظهر كيف يمكن للدارس أن يستفيد من هذه المصادر. وسنركز على: الدراسة الديموغرافية القديمة للسكان (Paléodémographie).

دراسة السكان:

إن الدراسات الديموغرافية القديمة للسكان (Paléodémographie) تساعد على فهم التاريخ الاجتماعي للمجموعات البشرية، وعلى إدراك أنماط ارتباط الإنسان بمجاله الطبيعي والثقافي. وتختلف مناهج الدراسات الديموغرافية القديمة باختلاف الحالات، وأكثر المناهج استعمالا ترتبط بدراسة البقايا العظمية أو الكتابات التي ترافق شواهد القبور. وسنشير إلى مثالين متباعدين في الزمان والمكان: مغارة تافوغالت الموجودة بالمغرب الشرقي، والمقبرة اليهودية بإليغ بالأطلس الصغير.

تافوغالت موقع أثري هام يعود لفترة ما قبل التاريخ ويقع بالقرب من مدينة وجدة. عرفت هذه المغارة حفريات أثرية. قام بها روش Roche ما بين 1951 و1955، أسفرت عن اكتشاف بقايا عظمية لأكثر من مائة شخص في طبقة فوق المستوى العتيري.

أنجزت دراسة للوفيات (mortalité) انطلاقا من هذه العظام. وتبين أن موقع تافوغالت كانت تصل به نسبة وفيات الأطفال إلى 56% أو 57% من الوفيات، وأن أغلب الوفيات تتم بين الولادة وسنتين. هذه الخلاصة دفعت الباحثة الأنتروبولوجية د. فرماخ D.Ferembach [7] إلى أن

7) Ferembach D., Dastugue J. et Poitrat-Targowla MJ., La Necropole Epipaléolithique de Taforalt (Maroc oriental) Etude des squelettes humains, Casablanca, 1962.

تفترض أن هذه الظاهرة كانت مرتبطة بممارسة الزواج الداخلي (Endo-gamie) الذي نتجت عنه مشاكل مرتبطة بالقرابة (Consanguinité).

وهكذا نلاحظ أن دراسة الوفيات مهدت الطريق لافتراض شكل التنظيم الاجتماعي والقرابي لسكان فترة ما قبل التاريخ.

وظفت المقبرة اليهودية لإيليغ خلال الفترة الممتدة بين 1751 و 1955. وتمت دراسة الساكنة المدفونة فيها انطلاقا من شواهد القبور التي كانت تحمل كتابات عبرية محفورة (8). ومن بين النتائج التي توصلت إليها الدراسة الديموغرافية أن الوفيات كانت ترتفع تبعا لوتيرة الأوبئة، وخاصة خلال سنوات 1800 [الطاعون]، و 1869 [الكوليرا]...

هذان النموذجان [مغارة تافوغالت والمقبرة اليهودية] يوضحان أن معرفة التركيبة الديموغرافية للسكان مهمة، لأنها تساعد على الاقتراب من تنظيماتهم الاجتماعية ومن الظروف الصحية التي ميزت محيطهم.

هذا النوع من الدراسات يصعب القيام به في البوادي الأمازيغية وفي باقي البوادي المغربية، انطلاقا من المدافن التي لا تتوفر على شواهد تحمل معلومات يستحيل القيام بحفريات فيها، وذلك لاعتبارات منهجية وثقافية. وهنا يمكن للباحث أن «يستنجد» بـ: [أرَّاتْنْ] لتسد الفراغ وتمده بالمعلومات الكافية حول الديموغرافية القديمة، انطلاقا من أنواع الوثائق الآتية:

1 – **شهادة الولادة:** فالسكان كانوا –ومنذ القديم– يعمدون إلى تسجيل تواريخ ميلاد أبنائهم لضبط ما يتعلق بأمور الصلاة والصيام؛

2 – **شهادة الوفاة:** حيث يتم تدوين تواريخ الوفيات وخاصة في

(8) Pascon P. La maison d'Iligh et L'histoire sociale de Tazerwalt avec la collaboration de A. Arrif, D. Schroeter, M. Tozy, H. Vanderwusten, p.116.

حالة وفاة أحد الزوجين؛

3 – **شهادة الحياة:** غالبا ما يكتب هذا النوع من الوثائق مباشرة بعد الأوبئة والكوارث، فيتم تسجيل أسماء من نجوا؛

4 – النموذج الرابع يسميه السكان **نسخة الميراث** أو ترتيب الموت، إذ كلما دعت الضرورة إليها، يجتمع الشهود المُسِنُّون الذين لهم معرفة بالأنساب للقيام بترتيب وفيات أسرة ما.

إن عادة تسجيل تواريخ الولادات والوفيات وترتيبها، كانت معروفة عند الأمازيغ منذ قرون، وقد أملتها ضرورة ملحة مرتبطة بانتقال التركات وتوزيع الإرث. ولإجراء هذه العملية بالدقة المطلوبة، ومعرفة المستحقين وحصصهم، كان السكان يلجأون إلى تدوين تلك التواريخ.

هذه المعلومات تمكن من إجراء دراسات إحصائية للسكان، وتطور بنية توزيعهم حسب الجنس والسن، وعلاقة نِسَب وفياتهم بالظروف المُنَاخِية والصحية والسياسية.

وهكذا [فـأرَّاتْنْ] تمكن من دراسة البنية الديموغرافية لسكان البوادي بطريقة بسيطة وعملية، والوصول إلى نتائج مضبوطة ودقيقة.

خاتمة

من خلال هذا العرض الموجز حول المستندات العائلية، يمكننا أن نخرج ببعض النتائج الأولية

- تمثل [أرَّاتْنْ] إرثا حضاريا هاما يعكس مجهودات مجتمع منظم يهدف إلى ضبط الحقوق والواجبات؛

- يمكن الاعتماد على [أرَّاتْنْ] كمادة لكتابة التاريخ الاجتماعي بأبعاده الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية؛

- تتميز [أرَّاتْنْ] بأنظمة وتقاليد مندثرة وتراث لغوي أمازيغي نادر.

ولا يفوتنا في الأخير أن نشير إلى ما تتعرض له المستندات العائلية من ضياع بسبب تداخل عوامل طبيعية وبشرية. وقد عرفت السنوات الأخيرة تفاقم مشكل الاتجار غير الشرعي ل -[أرَّاتْنْ].

ونعتقد أن مهمة المحافظة على هذا التراث، تبتدئ من دراسته، ولعل أول خطوة في هذا الاتجاه تتمثل في تشجيع الطلبة والباحثين على إنجاز أبحاثهم في هذا المجال.

مداخلات باللغة الفرنسية



ARTICLES EN LANGUE ARABE

(16) - Cf. Le document «Utilité pour les Musulmans berbérophones d'étudier les ouvrages religieux composés en Berbère», boîte 40, document 7, Catalogue des archives berbères du «Fonds Arsène Roux» par Harry Stroomer et Michael Peyron avec la collaboration de Claude Brenier-Estrine (Ce catalogue sera publié dans la série Berber Studies, vol. 6, Köppe Verlag, Cologne, Allemagne. Il s'agit du catalogue des matériaux autres que les manuscrits.)

(17) - L'édition de cette traduction est entamée par Mohamed Saâdouni (Université de Leiden).

(9) - Elle n'est pas encore éditée et représenterait un excellent sujet pour une étude de doctorat.

(10) - Paulette Galand-Pernet, «Notes sur les manuscrits à poèmes chleuhs du Fond berbère de la Bibliothèque Nationale de Paris», Revue des Etudes Islamiques XLI/2 1973, p. 296.

(11) - Cf. Ali Amahan en donne un exemple dans son article: L'écriture en Tašlḥγiyt est-elle une stratégie des Zawaya? dans: Drouin, J. & Roth, A. (eds.), A la croisée des études libyco-berbères, mélanges offerts à P. Galand-Pernet et L. Galand, (Comptes rendus du Groupe Linguistique d'Etudes Chamito-Sémitiques (G.L.E.C.S.), Supplément 15, Paris 1993, p. 437-449 et en particulier les pages 444 et 445.

(12) - Nico van den Boogert, La révélation des énigmes, lexiques arabo-berbères des XVIIe et XVIIIe siècles, Travaux et Documents de l'IREMAM, No. 19, Aix-en-Provence, 1998. Il s'agit d'un glossaire de Hilali et un lexique anonyme.

(13) - Cf. Ali Amahan, L'écriture en Tašlḥγiyt est-elle une stratégie des Zawaya? dans : Drouin, J. & Roth, A. (eds.), A la croisée des études libyco-berbères, mélanges offerts à P. Galand-Pernet et L. Galand, (Comptes rendus du Groupe Linguistique d'Etudes Chamito-Sémitiques (G.L.E.C.S.), Supplément 15, Paris 1993, p. 437-449; et Paulette Galand-Pernet, Littératures berbères, des voix des lettrés, Presses Universitaires de France, 1998, p. 23-27.

(14) - Cf. Stricker, B.H. (éd.), L'océan des pleurs, poème berbère de Muh_ammad Al-Awzalî, Leiden 1960, p. 1 et p. 75.

(15) - Pour Ḥmad U `Abderrah_mân At-Timli, voir le Catalogue des manuscrits arabes et berbères du Fonds Roux, p. 123.

mentionne quatorze manuscrits. On se demande si le nombre de manuscrits dans cette collection est toujours le même que dans l'année 1972.

Aussi la Fondation du Roi Abdul Aziz Al-Saoud, à Casablanca, a-t-elle collectionné des manuscrits berbères du Sud marocain. (En existe-t-il un catalogue?)

(5) -«Notes sur les manuscrits à poèmes chleuhs du Fond berbère de la Bibliothèque Nationale de Paris», Revue des Etudes Islamiques XLI/2 1973, 283-296.

(6) - A. Roux, Les manuscrits berbères en caractères arabes du Sud- Ouest marocain, XXIème Congrès international des orientalistes, Paris 1948, p. 316-317.

Arsène Roux avait une formation d'arabisant et de berbérisant. Après sa mort, en 1972, sa bibliothèque et ses papiers et documents ont été légués à l'Encyclopédie berbère transférés au LAPMO (Laboratoire d'Anthropologie et de Préhistoire des Pays de la Méditerranée Occidentale), Aix-en-Provence.

(7) - Nico van den Boogert a déjà montré sa grande compétence dans ce domaine dans son excellent ouvrage sur la tradition littéraire en Tachelhiyt qui porte le titre anglais, The Berber Literary Tradition of The Sous (Publication of The Goeje Fund, 27), Leiden 1997: en vente chez le Nederlands Instituut voor het Nabije Oosten, BP 9515, 2300 RA Leiden / Pays-Bas. Un vrai travail de pionnier qui servira d'outil de travail pour tous ceux qui s'intéressent à ce domaine.

(8) - Nico van den Boogert, «A Sous Berber poem on Sidi Aḥmad Ibn Nâs_ir», in Etudes et Documents Berbères, 9, 1992, p. 121-137.

Notes :

(1) - Pensons-nous aux qanouns kabyles datant du XVIIIème ou XIXème siècles, aux manuscrits du Mzab et les manuscrits de la région du Zénaga (Maurétanie). Pensons-nous aussi aux références, aux phrases, en langue berbère, citées dans les manuscrits arabes de Jebel Nefousa (Lybie) et aux manuscrits touaregs en caractères arabes.

On signale ici des rumeurs publiques au Maroc sur la présence de manuscrits berbères en caractères arabes dans la région de Figuig et du Rif.

(2) - Paulette Galand-Pernet, Littératures berbères, des voix, des lettrés, Presses Universitaires de France, 1998, p. 27: «Quant aux manuscrits berbères, non seulement leur exploitation est à peine commencée, mais leur collecte est également loin d'être terminée; il y a des manuscrits naguère signalés, puis perdus, qui sont à retrouver et, sans compter ces Corans berbères dont de nombreux témoins ont entendu parler sans jamais les voir et dont la quête semble une nécessité mythique, il reste certainement des possibilités de véritables découvertes».

(3) - Le Sud marocain est défini ici comme la région délimitée par des lignes imaginaires entre Essaouira- Demnate- Foum zguid- Ifni-Essaouira.

(4) - Bien sûr, on trouve des manuscrits berbères dans des collections au Maroc : la Bibliothèque Générale de Rabat, voir l'article de Paulette Galand-Pernet «Notes sur les Manuscrits à poèmes chleuhs de la Bibliothèque Générale de Rabat», Journal Asiatique 1972, p. 299-316, qui

manuscrits. Effectivement, si on veut étudier, en tant que chercheur moderne, les manuscrits de cette tradition, il faut toujours souligner l'importance du contexte traditionnel, qui a engendré ces documents. Je pense qu'il faut se mettre en contact avec les associations marocaines concernées. On peut parfois rencontrer, dans le cercle des savants traditionnels, une attitude négative à l'encontre de l'étude des manuscrits berbères, bien qu'on en ait une connaissance intime.

- La difficulté la plus considérable qui se présente est de nature linguistique : si on veut éditer les manuscrits de cette tradition intéressante, on doit prendre en considération, l'analyse linguistique du Tachelhiyt, c'est-à-dire avoir une idée claire de la représentation morphologique de cette langue.

- La tradition des manuscrits du Sud marocain nous montre que le «passage de l'oralité à l'écrit» date probablement du XIII- XIVème siècle J.C. La valorisation scientifique de cette tradition sera une des tâches passionnantes des chercheurs berbérisants dans le futur proche.

s lkalam n tmazirt nny

Dans le parler de notre pays

ag gis ifhm yan igan lummiy

Pour que quelqu'un qui est illettré le comprenne.

Cette tradition de traductions était assez persistante, les collections de Aix-en-Provence et de Leiden en donnent de beaux exemples. Comme l'exemple d'une traduction récente et importante : le Sîra de Ibn Hisâm (600 pages) effectuée par `Adallâh Ibn Al-H-ajj `Ali Ad-Darqâwî, datée du 17 mars 1942 du Fonds Arsène Roux. (17)

7- Quelques remarques en conclusion :

- La majorité des manuscrits berbères portent un titre en arabe et ont une division en chapitres qui, eux aussi, sont en arabe. Ce n'est qu'après un nombre de lignes variables que le texte en berbère commence. Il est fort probable qu'un nombre indéfini de manuscrits arabes conservés dans les bibliothèques publiques au Maroc recèlent entre autre des textes berbères. Une enquête basée sur la nisba de l'auteur (Tughmawi, Timli, Semlali, etc.) pourrait déceler de nouveaux manuscrits berbères.

- La connaissance intime du contenu des manuscrits et le contexte dans lequel ils ont été élaborés, sont bien connus dans le milieu des savants traditionnels qui ne sont pas forcément en contact avec les gens du monde universitaire. Un chercheur comme Arsène Roux occupait une position privilégiée en ayant accès non seulement aux manuscrits tachelhiyt berbères, mais, à travers son assistant Ibrahim Al-Kunki, aux idées de la société traditionnelle berbérophone dissimulées dans les

14 - *Gan i lajr nns wan yat tmqitt i lbḥr-i*

Sa récompense est comme une goutte d'eau dans la mer.

15 - *Ula yan yaqqran lqran iɣ ur ifhim-i*

Aussi celui qui lit le Coran sans comprendre,

16- *Ɣ ddin yuf t sul yan yaqqran lmazɣiy ann.*

Dans la religion, celui qui lit (le Coran) en Berbère est mieux que lui.

17 - *Mǐs ag gis isaqsa yan ifhmn ɣ ddin-î*

Mais il lui faut consulter quelqu'un dans la religion

18 - *Ad ur igmy, ukan ar ittxwwaḍ gis-î*

Pour qu'il ne lise pas le texte lettre par lettre et mélange les choses

19 - *Yan ur igmmin ar ka isaqsa yan ifhmn-î*

Celui qui ne peut épeler un texte, qu'il simplement demande (explication) à quelqu'un qui le comprend. (16).

Les activités des lettrés berbères du Sud étaient alors consacrées essentiellement à l'enseignement religieux. En effet, la prose versifiée (nnaḍm, manḍuma), utilisée dans la plupart des manuscrits, sert à faciliter la mémorisation dans l'enseignement.

En dehors de la création des oeuvres didactiques en Berbère, on trouve l'activité de traductions de l'Arabe au Berbère, encadrée aussi dans l'enseignement religieux. Le fameux Burda de Al-Busirî et le Kitâb Al-Arbaεîn de An-Nawawî ont été traduits déjà au le XVIIIème siècle. Le but du travail de Tughmawi, traducteur de Kitâb Al-Arbaεîn de An-Nawawî, est clair. Il dit avoir fait son travail.

4 - *Ula lḥadît, ar iqqra lktub n Imazin-î*

Ou le Hadith, qu'il apprenne les livres en Berbère.

5 - *Zund amaziy n Sidi Mhmmd U li Akbilî*

Comme le (livre en) Berbère de Sidi Mhemmed U li Akbilî

6 - *Atinn, kigan d lεilm ag gis, ur idrus-î*

Voilà (il y trouvera) beaucoup de savoir, pas peu!

7 - *Ur any iḍhir x kra yanḍmn s tmazixt-î*

Il nous ne semble pas, entre ceux qui composent en Berbère,

8 - *Mat t irwasn y nnur d nnfaεt i Imaziγn-î*

Qu'il y ait quelqu'un semblable à lui en clarté et en utilité pour les Berbères.

9 - *Kigan ag gis illan d lahkam n ddin-i*

(On y trouve) beaucoup de choses et les sagesses de la religion

10 - *D lmawεiḍa iṣḥan a nn issiridn ul-i*

Et l'admonition forte qui lavent le coeur

11 - *Yan t iqqran nγ a t isγṣṣγra, ifn lajr nns-i*

Celui qui le lit ou le fait lire, trouvera sa récompense.

12 - *Wi nn yan yaqqran ddalayl, ur ifhim-i*

(Mais) celui qui lit le Dala'il Al Khayrat et ne le comprend pas

13 - *Ǎsku lεilm ig i lajr n lεamal ad yadnin*

Car la science est apte pour la récompense complémentaire aux autres actes.

6 - L'inspiration des auteurs de cette tradition littéraire.

Les manuscrits du Sud marocain étaient les fruits de l'activité des îlots des lettrés dans un océan d'oralité, des lettrés liés aux Zaouïas diverses (13). Mais pourquoi les lettrés du Sud ont-ils commencé à créer des ouvrages en Berbère? Dans les manuscrits, on trouve, parfois, des phrases qui donnent une sorte de réponse à cette question. Par exemple, au début du Bahr ad-Dumû, l'auteur dit être encouragé, par les fuqara autour de lui, à écrire son poème didactique et à le confier au papier :

kigan ayad anaddrn lmuhibbin lktab-i

Depuis longtemps déjà mes amis me parlent d'un livre

n lmawida, yrzznn imzgan, ihyu d lqlub-i

D'admonitions, susceptibles d'ouvrir les oreilles et de ranimer les coeurs,

s nnadm n tmazixt ann ifulkin, igan ljib-i

(Qu'il faudrait rédiger) dans le beau, l'admirable vers berbère... (14).

Voir aussi le passage extrait d'un poème didactique de Hmad U Abderrahmân At-Timli (15), qui loue le savoir énorme dans les oeuvres en Berbère comme celle de Sidi Mhmmd U `Ali Akbili:

1 - *Ur ill(i) akk mad d izwarn ddin nnk, a lbarî*

Il n'y a absolument aucune personne qui peut dépasser votre religion, ô Créateur.

2 - *At t ifhm yan, ijahd gis ma m idrk-î*

Qu'il le comprenne et qu'il fasse son mieux

3 - *Yan ur issinn tarabt as srs ifhm y lqrân*

Celui qui ne connaît pas l'arabe pour comprendre le Coran

Paulette Galand a écrit : «Les liens entre cette littérature écrite, héritage du passé, et une littérature orale en constante évolution sont indéniables» (10). On retrouve dans les collections de Leiden et Aix des versions anciennes des poèmes religieux populaires, tels que *Lqist n Yusf, Lqist n umhdar, Lqist n xamsa u xamsîn n ssbâb* etc., poèmes qui sont connus aussi dans la tradition orale moderne du Tashelhiyt.

Le Kitab Al Bida` du Fonds Arsène Roux contient la description d'un certain nombre de coutumes qui y sont décrites minutieusement et qu'on trouve parmi les tachlhiytophones. Toutefois, celles-ci sont désapprouvées par l'auteur, car elles sont contre l'Islam orthodoxe. Cela fait du Kitab Al Bida une oeuvre anthropologique en même temps qu'une oeuvre sur la pensée contemporaine des ulamas d'un village.

En dehors des oeuvres de traitant de la religion, on trouve des oeuvres contenant des prescriptions médicales, des oeuvres sur l'alchimie, la magie, etc.

Il existe, en outre, des poèmes intéressants concernant la morale publique, et parmi eux un bon nombre de poèmes contenant des recommandations (nnsaht) sur l'attitude recommandée des femmes (11).

On trouve aussi, dans les collections de Aix et de Leiden, plusieurs anciens lexiques arabe-tachelhiyt, dont ceux de Ibn Tunart et de Al-Hilali (12). Un important manuscrit de ce genre, que je n'ai pas encore pu moi-même consulter, est le glossaire de Tiznîtî, dans la collection de la Fondation du Roi Abdul Aziz Al-Saoud à Casablanca. Il s'agit d'un glossaire probablement rédigé à l'usage des notaires, d'environ 400 pages manuscrites, datant du XVIIIème siècle.

5 - Quelques thèmes abordés dans les manuscrits berbères du Sud marocain :

Dans les manuscrits en Berbère Tachelhiyt, beaucoup de sujets de la vie sont abordés. En effet, les manuscrits nous invitent à entrer dans le monde complexe de la pensée islamique traditionnelle.

L'oeuvre la mieux représentée dans ces collections est celle de Awzal (décédé en 1162/1749) qui est l'auteur le plus important et le plus connu de cette tradition littéraire en Tachelhiyt. Ses oeuvres les plus connues sont : *al-Hawd* «Le Réservoir», un manuel du droit malékite, en Berbère Tachelhiyt versifié; son Bahr *Al-Dumû* «L'Océan des pleurs», une admonition et traité d'eschatologie; et son al-Nasîha «Le Conseil», un éloge pour Ahmad Ibn Muhammad Ibn Nâsir, petit-fils du fondateur de la Confrérie de la Nâsiriyya (8).

L'importance attachée à l'oeuvre de Awzal est démontrée par le commentaire sur le *Hawd*, par Al-Hasan Al-Tamuddi-ztî (décédé en 1316/1899), un volumineux manuscrit (Leiden, Cod. Or. 23.401), avec six cents pages de commentaire en grand format, peut-être le plus grand manuscrit berbère qui soit connu.

Le prédécesseur de Awzal est Aznag (décédé en 1005/1597). Son oeuvre est bien représentée dans les trois collections. Elle est intitulée 'Aqâ'id ad-dîn, un ensemble de quarante chapitres traitant des sujets religieux importants (9).

Quant à la poésie religieuse, on trouve, dans les collections mentionnées, le fameux poème *Qasîdatu - lburda*, «Le Manteau du Prophète», de Busiri. La plus ancienne copie en Berbère de ce poème est le manuscrit Leiden Cod. Or. 23.114.

Un certain nombre est catalogué comme manuscrit bien qu'il s'agisse souvent de la copie d'un manuscrit, copié par l'excellent copiste Ibrahim Al Kunki, qui avait l'habitude non seulement de copier le texte mais aussi de gloser sur les mots difficiles pour son directeur M. Arsène Roux. Il existe désormais une liste de Nico van den Boogert et une autre d'Ahmed Boukous, des manuscrits considérés comme les plus importants de la collection.

4- Les manuscrits berbères du Sud marocain dans la bibliothèque de Leiden :

Depuis l'arrivée, en 1970, des premiers émigrés berbérophones marocains aux Pays-Bas, ce pays a développé, pour les études berbères, un véritable intérêt. Cet intérêt a abouti à divers programmes scientifiques, la constitution d'une collection de manuscrits berbères tachelhiyt s'est matérialisée dans divers programmes scientifiques et surtout dans la Bibliothèque de l'Université de Leiden. Cette collection, déposée au Département des Manuscrits Orientaux de cette Bibliothèque contient, actuellement, 290 numéros. Elle représente donc désormais la collection la plus importante en Europe, accessible aux chercheurs berbérisants de par le monde. C'est une collection d'un grand intérêt, non seulement en raison du nombre élevé de manuscrits mais aussi à cause de la diversité de leur contenu.

Nico van den Boogert est en train de réaliser le *Catalogue of Berber Manuscripts in the Library of Leiden University* [7].

manuscrits berbères tachelhiyt en caractères arabes.

C'est Paulette Galand-Pernet qui, à plusieurs reprises et à l'époque où beaucoup moins de manuscrits berbères qu'aujourd'hui étaient connus, a souligné l'importance de l'étude des manuscrits berbères tachelhiyt en écrivant:

«Je veux encore insister sur cette double tâche qui me semble capitale : celle de la recherche méthodique et celle de l'édition des manuscrits en berbère [...]. L'établissement critique des textes est le seul moyen de fournir aux historiens et aux sociologues [...] des documents sûrs».

«Même si le nombre actuel des documents chleuhs anciens est dérisoire, nous avons vu que des espoirs sont permis quant à l'accroissement du nombre et au recul des dates. [...]. Leur étude est bien tentante pour le linguiste ou le philologue».

3 - Les manuscrits berbères du Sud marocain dans le Fonds Arsène Roux.

Une deuxième collection des manuscrits berbères en Tachelhiyt, beaucoup plus importante que celle de la Bibliothèque Nationale à Paris, se trouve dans le Fonds Arsène Roux à Aix-en-Provence. Arsène Roux était l'un des rares berbérisants à l'époque qui s'était intéressé intensément à cette tradition littéraire. Bien qu'il n'ait laissé qu'un seul petit article sur le sujet, il nous a laissé un fonds riche [6] . Le Catalogue des manuscrits arabes et berbères du Fonds Roux, réalisé par Nico van den Boogert, inventorie 195 articles, qui peuvent représenter soit des manuscrits complets, soit des fragments de manuscrits ou même des feuillets libres.

pire encore, elle semble être restée ignorée de la plupart des berbérisants.

La plupart des manuscrits de cette tradition sont encore conservées chez les particuliers. Généralement, on les cache des regards trop curieux, et les manuscrits ne sont montrés que par certains propriétaires dans une atmosphère de confiance totale. J'ai rencontré beaucoup de gens dans les villages du Sud marocain, qui disent que leur voisin, leur oncle, leur grand-père possède quelques manuscrits berbères. On peut dire que la majorité des manuscrits berbères, en caractères arabes de cette tradition, est conservée dans les villages et petites villes du Sud marocain, dans les collections des lettrés, à la portée des gens, non pas à la portée des chercheurs.

En ce qui concerne la quantité, il n'y a aucune méthode fiable d'estimer le nombre de manuscrits existants. Il s'agit probablement d'un «iceberg» de manuscrits, dont le sommet n'est visible que dans les collections européennes (4).

En Europe, on recense trois fonds d'archives importants contenant des manuscrits tachelhiyt du Sud marocain : la Bibliothèque Nationale de Paris, le Fonds Arsène Roux à Aix-en-Provence (France) et la Bibliothèque de l'Université de Leiden (Pays-Bas).

2 - Les manuscrits berbères du Sud marocain dans la Bibliothèque Nationale à Paris.

La section des manuscrits de la Bibliothèque Nationale de Paris contient un fonds berbère. Il s'agit de l'ancienne collection de Jacques-Denis Delaporte, étudiée et cataloguée par Madame Paulette Galand-Pernet (5), qui nous donne des renseignements précieux sur sept

La tradition des manuscrits berbères en tachelhiyt

Harry Stroomer
Université de Leiden
(Pays-Bas)

1- Introduction.

Plusieurs parlers de la langue berbère possèdent des traditions littéraires sous forme de manuscrits en caractères arabes [1]. Ces traditions, pour la plupart, n'ont pas encore retenu suffisamment l'attention des chercheurs [2].

La tradition des manuscrits en Berbère qui constitue la tradition littéraire probablement la plus ancienne et quantitativement la plus importante, est celle du Sud marocain [3], en Tachelhiyt. L'existence de cette tradition était connue en Europe au moins depuis 1850. Néanmoins, il n'y a eu, jusqu'à maintenant, que très peu de textes édités de cette tradition et

Bibliographie :

- AMAHAN, A., 1993, Ghoujdama : changements et permanence (du début du siècle à nos jours), Thèse de Doctorat d'Etat Es-Lettres, Université René Descartes (Paris V) ;

- AMMEL, A., Naçaht (Manuscrit daté du 1404 H);

- AWZAL, B. Naçaht (éloges de Ben Nacer), Manuscrit daté du 1148 H;

- BEN NACER, M., s.d. Ajwiba al-naçiriya fi baâdi masa il al-badiya (ouvrage rédigé au XVIe siècle) (voir extrait en annexe) ;

- Al-ILIGHI, A. Tafsir al-hikam al-âtiya âla manawil al-babariya (Manuscrit non daté);

- AL-MARTINNI, AL-Tiznit Abd Al-Rahman B. Abu Al-Qasim. 1185 H/1772 J.-C Al-Sura li al-sa ada Manuscrit. (voir extrait en annexe) ;

- AL-SADIQQI, A., Masarrat al-ikhawan (manuscrit daté du 1174 H).

Cependant, il faut remarquer qu'il y a là un triple passage : de l'oral à l'écrit, du berbère à l'arabe et de la laïcité à la chariâa. Là encore, on doit s'interroger, sur les motivations de ce passage. L'enjeu ici est encore plus important, puisqu'il s'agit d'avoir la légitimité, donc le pouvoir de statuer et d'arbitrer. Nous savons qu'au Maghreb, le rôle de l'arbitrage est toujours ambivalent entre les institutions communautaires telle la jemâa et les qodat qui relèvent du pouvoir central ou des Zaouias. Donc, là aussi, les rapports de l'écriture et l'oralité s'inscrivent dans une logique de compétition pour la conquête du pouvoir. On peut mentionner de nombreux exemples où les docteurs de la chariâa dénoncent certaines pratiques du lâourf, tel l'auteur du mawahib di al-jalal fi baâdi naouazil al-bilad saiba wa al-jibal qui a consacré tout un ouvrage à cette question (Al-Kiki, pp. 1-56). On peut même rapporter des situations où les communautés rejettent certains jugements des qodat. Ahmed Ben Nacer a lui-même signalé dans ses naouzil un cas extrême, où le groupe a interdit expressivement toute référence à la chariâa dans tout jugement (Ben Nacer, p. 64).

par l'autre». Il affirme ensuite, que seule la voie préconisée par Ben Nacer est valable, en disant plus loin : *«kra igan laoulya kh tmaiza ad negh Sidi Hmad Ou Moussa ou la lghayr ns,...il ajoute : our agh idhir lourd gh our illi lbidâ silla douin chikh n tmgrout ouahdati»* «je ne vois aucun chapelet (voie) dépourvu d'illicite sauf celui proposé par le Maître de Tamgrout». Ainsi, l'auteur est clair dans ses attaques envers la confrérie des Darqaoua dont il mentionne même le nom du patron régional. Il est, de même, sans ambiguïté dans ses préférences quand il précise que la seule voie licite est celle initiée par son propre guide spirituel à savoir Sidi Ahmed Ben Nacer (Immel, 1-6).

Le passage de l'écrit à l'oral et de l'arabe à l'amazighe, dans ce cas précis, relève de la stratégie politique des Zaouias. L'objectif principal est de rallier le plus grand nombre d'adeptes à la «voie» par la Zaouia, et par-delà, d'étendre son espace d'influence. Cette stratégie est mise en œuvre lorsque la confrérie se trouve confrontée généralement, à trois types de problèmes :

- D'abord, en cas de crise de succession;
- Ensuite, lors de compétitions, sur le terrain, avec d'autres Zaouias;
- Enfin, pour faire face aux éventuelles menaces du pouvoir central.

Il existe un autre domaine dans lequel les rapports entre l'oral et l'écrit présentent un intérêt insoupçonné. Il s'agit de la tradition juridique (arbitrage des conflits), c'est-à-dire lâourf. En effet, la grande partie de la production culturelle et intellectuelle au Maghreb, notamment les naouazil, n'est qu'une traduction et transcription d'une tradition orale berbère ancestrale, selon l'aveu même des auteurs de ces naouazil.

les véritables objectifs des auteurs ou plutôt des commanditaires. En effet, en plus des motivations avouées, à savoir la volonté de permettre aux fidèles ignorant la langue arabe de «connaître» et de «comprendre» les fondements de l'Islam, l'écriture en tamazight s'inscrit dans une véritable stratégie politique des Zaouias. D'une part, on consolide la position des successeurs qui doivent faire face à des luttes fratricides de succession.

Aznag, Awzal et bien d'autres, ont mis en valeur les qualités de leur maître et ont souligné leur capacité de guider les fidèles. Aznag a qualifié son maître Sidi Ali Ou Mhamed de «Sultan al-aoulya» (prince des saints) (Amahan, 1993, 441). En effet, de nombreux textes tentent de légitimer la succession du maître. Je pense notamment au chapitre consacré à Sidi Ali Ou Mhamed dans Amazigh, à la naçiha d'Awzal, texte d'éloges au cheikh Ahmed Ben Nacer (Awzal, 1-11) ou encore à la silsilat al- anouar (généalogie des lumières) composée par Abou Baker Ben Mohamed al-Saddiqi, ...(Al-Saddiqi, 178-187).

Par ailleurs, ces écrits laissent entrevoir une rude compétition entre les Zaouias qui se disputaient la clientèle sur le terrain, à l'instar des partis politiques d'aujourd'hui. Car la puissance politique, économique et spirituelle d'une confrérie se mesure à l'étendue de son aire d'influence et à la qualité de ses adeptes (intellectuels, riches, hommes du pouvoir, etc...).

Dans une naçiha, Ahmed Ou Abderrahman Immel dénonce d'abord les critiques que certaines confréries formulaient à l'encontre d'autres : «a *our tinim agharas n cheikh ad iouf ouin ghouad*» «ne dites pas que la voie indiquée par ce cheikh est meilleure que celle indiquée

Iga gh lhikam taârabt at id nawi

S tmazight i chelhiyn i winna gh illa rrjaiy

Achkou nzra guigan agh nit illa rrjaiy

At issn ifhmt isker kra kullou dwyi

Les hikam sont en arabe. Je les présente en tamazight des chleuhs à celui qui a l'espoir.... de les apprendre et de les comprendre... (Al-Alighi, 1).

Remarquons que les deux auteurs insistent sur l'apprentissage et la compréhension des textes.

Au-delà de ces raisons avancées, il existe d'autres motivations beaucoup plus profondes, qui sont difficiles à discerner. L'examen des conditions de production laisse aisément apparaître que les œuvres les plus significatives ont été pratiquement toutes produites au sein des confréries et à des moments cruciaux de leur histoire. Sans remonter jusqu'à la âqida d'Ibn Toumart, nous constatons que les auteurs les plus importants appartiennent tous aux Zaouias. Aznag est le disciple de Sidi Ali ou Mhamed fils du fondateur de la Zaouia de Bni Ouisaâden; Awzal est le disciple de Sidi Ahmed Ben Nacer, fils du fondateur de la Zaouia de Tamgrout. Enfin, Outmdouzt et Al-Ighi (Al Derqaoui) ne sont que les successeurs rivaux de Al-Maâdri, chef spirituel de la confrérie des Darqaoua dans le Sous, à la fin du XIXe siècle et au début du XXe siècle. Ainsi les œuvres les plus importantes, même si elles datent de périodes différentes (XVIe, XVIIIe, fin XIXe et début XXe siècle), ont toutes été composées après la disparition du cheikh fondateur de la Zaouia et sur l'ordre de son successeur. La lecture approfondie des textes nous révèle

Ici, on peut dire que la motivation principale est l'accès à la langue du savoir qui est aussi, ne l'oublions pas, la langue de tous les pouvoirs (politique, spirituel, économique,...).

Les textes qui traitent de sujets religieux opèrent un double mouvement inverse à celui que nous venons de voir, c'est-à-dire le passage de l'arabe à l'amazighe et de l'expression écrite à l'expression orale. Les textes sont, dans l'ensemble, des traductions de l'arabe en amazighe et composés en vers; ils sont souvent appris par cœur et transmis oralement. Ainsi, leur diffusion dépasse le milieu des lettrés pour toucher un public non initié à l'écriture. La motivation exprimée par les auteurs est la volonté d'apprendre aux fidèles les préceptes de l'Islam, de les orienter vers le droit chemin et de les guider dans leur itinéraire spirituel. Leurs textes permettent aux Imazighen qui n'ont pas appris l'arabe, d'accéder à ce savoir. Je citerai, ici, quelques auteurs parmi les moins connus. Ahmed Ben Abderrahman Immel (XVIIIe siècle) mentionne dans un de ses textes :

> «Righ ad byngh liman ad mmelgh ma tigani
>
> Lislam d lihsan i yan ijhlni
>
> Nsregh awal atisni yan ihda lbari
>
> Byngh bahra a gis irkhou lfhmi»

«Je veux démontrer ce qu'est la foi à l'ignorant : c'est l'Islam et le bien. Je simplifierai et clarifierai la langue pour en faciliter la connaissance et la compréhension au fidèle». (Immel, 1).

Sidi Abi Lahcen Ali Ben Ahmed Al-ilghi avertit le lecteur dans l'introduction de sa traduction de al-Hikam al-âataya :

d'une dizaine de pages.

Faut-il donc attendre le XVIe siècle pour assister à un véritable mouvement dans le domaine de l'écriture en langue tamazight ? Ce mouvement a atteint son apogée vers la fin du XIXe siècle et au début du XXe siècle. Presque toutes les œuvres ont été composées entre le XVIe et le début du XXe siècle. Il est à souligner que le développement de ce mouvement est lié à celui des Zaouias dans les régions concernées.

Les œuvres à caractère scientifique (mathématiques, médecine, astronomie, ...) sont peu nombreuses, comme je l'ai signalé plus haut.

Par ailleurs, on constate qu'elles ont été réalisées, ainsi que les lexiques, en dehors des mouvances confrériques (excepté les textes de Aznag).

Ainsi, nous constatons, que le passage de l'oralité à l'écriture commence par le lexique, donc, par l'apprentissage de la langue, en l'occurrence la langue arabe. Les auteurs le précisent clairement dans leur introduction; le titre de l'ouvrage de Al-Hilali est sans ambiguïté à cet égard : «alâajamya âla kachfi asrar al-âarabya»- «l'amazighe pour pénétrer les secrets de l'arabe». Al-Martinni souligne, dans son ouvrage, que le but visé est de permettre aux Imazighen d'accéder à la langue arabe «...âilm al-lougha houa al-kafil fi ibraz asrar al-jamiâ «la connaissance de la langue est le seul moyen de découvrir tous les secrets». Il ajoute, par ailleurs, «mon but principal est de démontrer dans notre parler (gens du Sous) ce qui concorde avec l'arabe –aâdam maqsoudi aoualan bayan al-moutafaq min kalimina ahl Sous maâ al-âarabya». (Al-Martinni, 5).

chroniqueurs mentionnent trois personnages qui ont porté le même nom et le même surnom et qui ont vécu pratiquement à la même époque dans la région du Nfis). Moukhtar Al-Soussi mentionne cet auteur qu'il situe, sans en être sûr, au XVIe siècle, et signale qu'il possède une copie de son œuvre (Al-Soussi, 1984, 177).

Cet érudit nous a laissé un lexique arabe/tamazight. Les copies de cet ouvrage existent dans certaines bibliothèques privées.

Le deuxième auteur, selon la chronologie, est Abdallah Ben Chouâïb al-Hilali. Il a composé l'une des œuvres les plus importantes et les plus connues des «lexicographes» marocains. Cette œuvre s'intitule «Al Aajamya âla kachfi asrar al Aarabya». Les copies de cette œuvre sont assez rares.

Le troisième auteur est Al-Soibi. Il nous a légué un lexique (ouvrage d'un volume moyen).

Le quatrième est à mon sens, le plus important de tous. Il s'agit de Ibrahim ben Ali Ben Ahmed Al-Martinni, auteur de Al-Sourra Lissâada, véritable encyclopédie de la culture islamique. En effet, chaque mot amazighe employé est un prétexte pour étudier les termes arabes équivalents, en les évoquant dans tous les contextes possibles (Coran, Hadith, poésie,...) (Amahan, 1993, 125). D'autres œuvres existent dans ce domaine, mais il serait exhaustif de les évoquer ici.

Passons au thème religion qui domine dans les écrits. Le texte le plus ancien est la fameuse Aqida de Ibn Toumart, dont nous ne connaissons, de nos jours, que la traduction et quelques fragments du texte berbère. Si l'on en croit la traduction arabe, il s'agit d'un petit texte

du culte islamique, l'autre qui étudie son comportement en société), le voyage « *rihla* », les mathématiques, et même la grammaire arabe (traduite en amazigh), etc. (Amahan, 1993, 437-449).

Cependant, on peut répartir les textes consacrés au domaine religieux en trois champs :

1) ***Le champs du fiqh*** (sciences religieuses) à savoir : les fondements de l'Islam et le « droit » -la chariaâ-. D'ailleurs, Awzal a bien spécifié ces deux aspects en distinguant qaouâid al – islam du fiqh, dans deux œuvres différentes. Dans ce champ, on retrouve notamment, la traduction du Moukhtasar de Khalil et celle du manuel d'Ibn Achir.
2) ***Le champ mystique :*** On y rencontre, généralement, des textes traitant des voies soufies « tourouq» et du rôle du guide «cheikh», traitant des prières, des éloges aux prophète, ou des traductions de certaines œuvres telles la *Bourda*, la *Hamzya*...
3) ***Le champ social*** : je classe dans ce champ, les textes d'ordre moral consacrés au comportement de l'individu dans son milieu social. Les auteurs dénoncent, dans la plupart de ces textes, des agissements jugés inacceptables tout en essayant d'imposer des conduites sociales à adopter. Je pense, plus particulièrement, aux traités de femmes «*lâqida n taytchine*».

Les trois champs ne sont pas abordés en même temps dans l'histoire. Ce fait peut nous aider à comprendre certaines motivations des auteurs.

L'auteur le plus ancien connu de nos jours, est Ibn Tounart Abou Lggout (mort à la fin du Ve siècle du l'Hégire). (Cependant, les

Dans cet article, j'ai tenté d'apporter quelques éléments de réponse en me basant sur une œuvre concrète : *Amazigh* de Ibrahim Ou Ali Aznag. Dans mon analyse, j'ai démontré le but de ce double passage, à la fois d'un mode d'expression à un autre (de l'écriture à l'oralité) et d'une langue à une autre (de l'arabe à l'amazighe).

Par ailleurs, je pense qu'il faut d'abord déterminer les champs culturels concernés par ce phénomène. Pour ce faire, on devrait nécessairement disposer d'un inventaire complet des œuvres amazighes écrites. Les rares bibliographies et catalogues publiés ne donnent qu'une idée sommaire sur la question. Cependant, on peut estimer le nombre des œuvres à une cinquantaine (je ne parle pas ici des copies qui se dénombrent par centaines, ni des thèmes traités qui sont, bien sûr, moins nombreux que les œuvres elles-mêmes).

J'ai recensé personnellement, trente-cinq œuvres traitant d'une dizaine de thèmes. Les textes relatifs à la religion représentent à peu près, 80% de l'ensemble. En effet, les trente-cinq œuvres consultées sont réparties ainsi : 25 traitant de la religion, 4 traitant du lexique, 3 traitant de la médecine, et une de l'astrologie et de l'astronomie. Par ailleurs, certains ouvrages renferment, parfois, plusieurs thèmes.

A cet effet, *Amazigh* de Ibrahim Ou Ali Aznag est tout à fait significatif. Cet ouvrage, composé de quarante-deux chapitres, nous présente, à lui seul, plusieurs thèmes qui couvrent pratiquement tous les champs du savoir de l'époque (XVIe siècle). Notons à cet égard, le *fiqh*, le soufisme, la société (l'auteur a consacré à la femme deux chapitres, l'un qui traite des questions spécifiques à cette dernière dans les pratiques

Champs traités par les manuscrits amazighs
Rapports Ecriture - Oralité

Ali AMAHAN
Chercheur, Rabat

Je me suis déjà interrogé, dans un article publié il y a quelques années, sur les motivations réelles qui ont poussé les auteurs amazighs à écrire dans leur langue maternelle, essentiellement orale. Dans ma tentative de réponse à cette interrogation, j'ai avancé alors les hypothèses suivantes :

- d'abord, le souci d'enseigner les principes de l'Islam; Cette hypothèse est souvent la plus avancée, notamment pour justifier le phénomène ;
- Ensuite, la volonté des auteurs d'écrire dans leur langue maternelle, donc un souci d'identité ;
- Enfin, la démarche était-elle dictée par la conjoncture politique ou

Sommaire

« ⵎⴰⵏⵉⵖ ⵉⵍⵍⴰ ⵍⴽⵜⴰⴱ ⵉⵏⵏⴰⵏ : ⵓⵔ ⵉⵣⵔⵉ
ⴰⵙⵎⵍ ⵙⴰⵏ ⴷⴷⵉⵏ ⵉ ⵏⵇⴰⵡⵎ ⴱ ⵍⵎⴰⵣⵖⵉ ? »

«Où se trouve le livre qui dit : il n'est pas permis d'apprendre et d'expliquer à la communauté (des Amazighen), la religion (musulmane) en langue amazighe ?», d'après le manuscrit d'AL-QARAWIYINE *Qawa'id Ad-Din*, chapitre 28, "Jawab Al-munkirin", p 346, ligne 15, (ledit chapitre se trouve entre les pages 286 et 358), de Brahim Abdallah Aznag, mort en 1005 de l'hégire.

ROYAUME DU MAROC
Institut Royal de la Culture Amazighe
Centre des Etudes Historiques et Environnementales



ⵜⴰⴳⵍⴷⵉⵜ ⵏ ⵍⵎⵖⵔⵉⴱ
ⴰⵙⵉⵏⴰⴳ ⴰⴳⵍⴷⴰⵏ
ⵏ ⵜⵓⵙⵙⵏⴰ ⵜⴰⵎⴰⵣⵉⵖⵜ
ⴰⵎⵎⴰⵙ ⵏ ⵜⵖⵓⵔⵉⵡⵉⵏ ⵏ ⵓⵣⵣⵔⵓⵢ
ⴷ ⵜⵡⵏⴰⴹⵜ

Série: Colloques et Séminaires N: 1

Le Manuscrit Amazigh
Son Importance et ses Domaines

ⴰⵔⵔⴰⵜⵏ ⵏ ⵜⵎⴰⵣⵉⵖⵜ: ⵓⴷⴷⵓⵔ ⵏⵙⵏ ⴷ ⵉⵙⵓⵢⴰⵙ ⵏⵙⵏ

Coordonné et présenté par Mohammed HAMMAM

Rabat 2004

ⵜⴰⴳⵍⴷⵉⵜ ⵏ ⵍⵎⵖⵔⵉⴱ
ⴰⵙⵉⵏⴰⴳ ⴰⴳⵍⴷⴰⵏ
ⵏ ⵜⵓⵙⵙⵏⴰ ⵜⴰⵎⴰⵣⵉⵖⵜ
ⴰⵎⵎⴰⵙ ⵏ ⵜⵖⵓⵔⵉⵡⵉⵏ ⵏ ⵓⵎⵣⵔⵓⵢ ⴷ ⵜⵡⵏⵏⴰⴹⵜ



ROYAUME DU MAROC
INSTITUT ROYAL
DE LA CULTURE AMAZIGHE
Centre des Etudes Historiques et Environnementales

Série Colloques et Séminaires – N° 1 –

LE MANUSCRIT AMAZIGHE
SON IMPORTANCE ET SES DOMAINES

ⴰⵔⵔⴰⵜⵏ ⵏ ⵜⵎⴰⵣⵉⵖⵜ : ⵓⴷⴷⵓⵔ ⵏⵏⵙ ⴷ ⵉⵔⵓⵙⴰⵍ ⵏⵏⵙ

Coordonné et présenté par Prof. Mohammed HAMMAM



Rabat 2004

24 DH